View metadata, citation and similar papers at core.ac.uk
brought to you by CORE
provided by Journals of University of Babylon

مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد 28، العدد 8: 2020.
Journal of University of Babylon for Humanities, Vol.(28), No.(8): 2020.

نظريةُ التأويل التّقابليّ مَدْخلٌ لمعرفة الوجود : قصة موسىٰ مع الخَضِر مُنْطَلَقا

محمد بازي
المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، سوس ماسة، المملكة المغربية
mohamed.bazzi70@gmail.com

معلومات البحث
تاريخ الاستلام : 24 / 7 / 2020
تاريخ قبول النشر: 27/ 8 / 2020
تاريخ النشر: 2/11/ 2020

المستخلص

يقِّدم هذا المقال رؤيةً فلسفية موسَّعة لمنهجية "التأويل التقابلي" التي رسمنا معالمها في أعمالنا السابقة؛ ويستعرِض باختصار الأسسَ المعرفيةَ والمرجعية لدراسة الخطابات تقابليا، والمفاهيمَ المركزية المعتمدةَ في منظورنا التحليلي والتأويلي للخطاب؛ ولذلك فهو يمنح القارئ صورة شمولية عن مسار متكامل من التطوير والتهذيب المنهجيين، ويمنحه فرصة لتتبع تحليل تقابلي دقيق ومُعمق لآيات كريمة من سورة "الكهف".

تهدف تأويلية التقابل في مطمحها الوجودي إلى ربط الخطابات بوجودنا الكوني، وبحقيقة حضورنا في هذا العالَم، ومن ثمة فليس الغرض هو التعجب مما حدث لموسى مع الخَضِر، ومما حدث للنبي محمد صلى الله عليه وسلم مع المشركين، ولا من قدرات المحلِّل في تحليله للبُنى المتقابلة، وبيان العلاقات، وبناء الدلالات؛ بل تعزيز فلسفة "النظرية التقابلية" بربط الخطابات بحقيقة وجودنا، وتقوية منظورنا بالتموضع المناسب الدال على أننا معنيون بالخطاب في كل صغيرة وكبيرة، وأن المعاني التي يفضي إليها كل جهد تــأويلي، لا تكتمل إلا بتحويلها إلى فعل مؤثر في المعرفة والوجود .

الكلمات الدالة: المعنى، التأويل التقابلي، الخطاب، التأويلية الوجودية، البلاغة.

The Theory of Contrastive Interpretation and Knowing the Existence: The Story of Moses with Al-Khidr as a Starting Point

Mohamed Bazzi
Academic Writer and Researcher, Regional Center for Education and Training, Souss Massa ؛Kingdom of Morocco

Abstract

This article provides an expanded philosophical vision of the "Contrastive interpretation" methodology we created in our previous books. It briefly reviews the knowledge and reference bases for the study of Contrastive sense and the central concepts adopted in our analytical perspective of the discourses ؛ It gives the reader a holistic view of an integrated course of systematic development and discipline, and gives him the opportunity to follow an accurate and in-depth interpretation of the precious signs of the Alkahf 's Surah.

The purpose of the Contrastive interpretation is to link the discourses with our universal existence, and in fact our presence in this world, it is not to wonder what happened to Moses with Alkhadir, what happened to the Prophet Muhammad peace be upon him, with the polytheists, or the ability of the analyst in his interpretive maneuvers to be able to opposite structures, relations and indications. It is to strengthen the philosophy of theory by linking discourses to the reality of our presence in this world. the meanings of every interpretation effort are complete only by transforming it into an effective act of knowledge and existence.

Key words: Contrastive interpretation, meaning, discourse, rhetoric

Journal of University of Babylon for Humanities (JUBH) by University of Babylon is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

المقدمة

من أدوار المناهج الحديثة في النقد والفهم والتأويل وتحليل الخطاب أن تجتهد في الاقتراح والتجاوز، وأن تتقصد التأثيل والتأصيل المعرفيين، وربط الوجود الحاضر بقوة المرجعية الفلسفية التي تحفظ هويتنا، وخاصة بعد أن انكشف عراء الفكر التغريبي، وتأكدت محدودية رؤيته، ولاح في الأفق بوار فلسفاته. لعلها بداية الانطلاقة الحقيقية لفكر فلسفي نقدي وتأويلي يؤسس وجوده على حقيقة المعنى من الوجود، وتبعا لذلك الإحساس بمعنى كل ما يقوم به الإنسان، وما يتعلق به في حياته من خطابات وهوايات وذوات وأدوات. لا بد أنه سيطرح وَفق ما يسمح به المنظور التقابلي الوجودي أسئلة عن كل ذلك، من مثل: أي معنى لوجود هذا الاسم بجانب هذا الاسم على هذه البطاقة؟ أو هذا الفعل بعد هذا الفعل في هذه الجملة؟ أو هذا الضمير مقابل هذا الضمير في هذا الخطاب؟ لماذا تنتظم المعاني بهذه الصورة أو تلك؟ كيف استقبلها ذهني؟ ثم بعد ذلك التساؤل عن معنى وجود الأشياء في محيطنا القريب: ما معنى وجود هذا الكتاب في خزانتي؟ ما معنى وجود هذا الشخص في حياتي؟ ما معنى امتلاكي لهذا الشيء؟ أي معنى لانشغالي بهذا العلم أو هذا الفن؟ أي قيمة لعملٍ مثلِ هذا الذي أنجزه؟ ما معنى أن أتكلم أو أراسل غيري أو أنصت إليه؟ ماذا يعني حضوري أو غيابي هنا أو هناك؟ أي معنى لزمن أقضيه على الأرض تابعا لأهوائي منشغلا بمطامحي؟ أي معنى أستفيده من تبعية فكر معين أو فلسفة أو نوع معين من الأدب أو الفن؟ هل لتعلقي بالآخر معنى يفيدني حاضرا على الأرض أو راحلا عنها يوم الحساب؟ ما خطر وجود بعض الناس في حياتي أو قريبا مني؟ أحضورهم حياة أو موت؟ إفادة أم ضياع للوقت؟ ربح أم وِزر؟ صداقة أم عداوة أم عداوة تغلفها الصداقة؟ ما الذي يراني ولا أراه وهو يضمر لي العداوة القاتلة؟ كيف ينبغي أن أحترس من نفسي؟ ومن اندثار زمني الوجودي بلا طائل؟ ما دور أفكاري وأهوائي في رفع قيمتي المعنوية أو إهدارها؟ أي شيء يكون بضاعة ثمينة وله معنى في ميزان الآخرة؟ كيف أجعل أعمالي خالصة نقية لا رياء فيها فيكون لها قبول ومعنى عند المقصود بها، وصالحة لأن تُعرض عليه؟ ما الذي ينبغي أن نحفل به من الماديات والمعنويات؟ كيف أحقق المسافة المناسبة الدالة مع غيري؟ هل للأشياء المادية معنى عندما يرى المرء نهايته قد أوشكت أو فاجأت؟ أي شيء يبقى لنا عند التحقيق بعد مغادرة هذا العالم؟ أهي الماديات أم رمزيتها؟ كيف صورها القرآن الكريم، والحديث النبوي؟ هل أُوَفَّق بالمناهج الوجودية العرفانية إلى بلوغ الرؤية الملكوتية نفسها وكيف؟ كيف أخرج من صور الدنيا التي يروجها الدنيويون إلى صورة الدنيا من منظور ملكوتي خالص؟ أي قيمة مضافة للتحلي بهذه القيم أو تلك؟ كيف أربط علاقة جمال بعالم الملكوت وأكونَ على اتصال دائم به؟ وكيف أجعل الروح ترفع الحُجب وتتوق إلى أصلها كل وقت وحين؟ كيف أصل إلى ذلك بالمغالبة والمجاهدة النفسية؟ كيف أرتفع باستمرار من إغراءات الدنيا وقوة جاذبيتها وحلاوتها الظاهرة إلى روحانية جمالية جلالية كمالية مبهجة مسعدة وأثيرة؟ وكيف أصبر على تلك المغالبات الإيمانية مواجها نفسي السبعية (الغضبية) والبهيمية (الشهوانية) والشيطانية (التوهيمية) داعيا إياها إلى اختصار الطريق وتقليل العناء، واختيار صورتي الملكوتية المطلوبة؟ وهل أصبر على تفقدها وتتبعها بالعلم والعمل والتحلية؟ هل الآخر الذي هو محل إعجابي الآن، أو كان كذلك قبل الآن، أو ما أزال أترقبه بعد الآن، يمثل الوجه المشرق لنجاتي الدنيوية وخلاصي الأخروي؟ هل علوم الظاهر تكفي لبلوغ الحقيقة الوجودية؟ إلى غير ذلك من الأسئلة النفعية الوجودية التي أجابنا عنها الوحي بشكل واضح، وبيَّن كل ما له معنى في الدنيا ومعنى المعنى بمعايير الآخرة.

قد يتساءل القارئ المحلل: لِمَ كل هذا العناء من تحليل الخطابات تقابليا؟ ولِمَ السعي في الانتقال من التقابلية النصية البنائية والسياقية إلى التقابلية الفلسفية الوجودية؟

يستهدف الجهد المبذول في هذا المقال تطوير أنظمة تأويلنا للعالم، وربطها بحقيقة الوجود، ودفع مناهج تحليل الخطاب إلى الإجابة عن الأسئلة الحقيقية لوجود الإنسان على الأرض بالخطاب والعمل. تسمح لنا التطويرات الجديدة في الرؤية، وفي خطاطة التناول من تحليل الذهنية التأويلية التراثية الإسلامية، وبيان استراتيجيات العقل التأويلي العربي القديم، فضلا عن الحرص على إغناء مجال مقاربة الخطابات بأدوات تأويلية قائمة على إحداث المواجهات التأويلية من منظور تأويلي وجودي، وتجاوز التوقف الحاصل في مجال الاقتراحات النظرية والتطبيقية في مجال تحليل الخطاب.

وتناغما مع رؤيتنا الفلسفية التي بسطناها في "البلاغة الكبرى" فإن منظورنا المنهاجي يدعو إلى تحصيل المعاني والاعتبارات التي تمنح وجودنا معنى بعد تحليل الخطاب لغويا وبنائيا وسيميائيا، والتزود بمادة معرفية وروحية غنية تغني علاقتنا بالعالم الذي نحيا فيه اليوم، وتُخرجنا من الحيرة الوجودية، كما تبصرنا بحقيقة الدين والفهم الصحيح له والعلاقة مع الآخرين، وتجنب الأحكام الظاهرية عليهم. بل إنها ما تفتأ تذكرنا أن المناهج التحليلية والتأويلية التي تدعم هُويتنا المعرفية هي تلك التي تستمد قوتها من مرجعية إيمانية وروحية أصيلة عقلانية وعلمية . ألا يستحق تطوير مناهج التأويل والفهم وتنوير العقل الإنساني المعاصر أن نستفيد من الثراء الروحي الوجودي الإسلامي؟فإلى متى إذا سنظل مختبئين في تبعيتنا، راكبين مراكب مهترئة في بحر وجودي هائج؟ وإلى متى سنظل تابعين مقلدين للمناهج المادية أو البنائية القاصرة عن تقديم جواب لكل ما يبني كينونتنا وهُويتنا؟

التقابليات الوجودية: من البيان إلى العرفان

لقد أصبحت معالم التطوير واضحة وممكنة، أي الخروج بالتقابلية النصية والسياقية إلى تأويلية وجودية مؤثرة في العقل البشري بما يفيده بربطه بمغزى وجوده الذي حدده له الخالق. وقد تبين بعد الأزمات الحادة التي يعرفها الوجود البشري باستمرار أن سؤال معنى الوجود أصبح حاضرا بقوة: لماذا وُجدنا على الأرض؟ ما معنى الخطاب الدال؟ وما هو الفعل الدال الذي له معنى مقبول قانونيا وشرعيا وفلسفيا ودينيا؟ ما حدود معرفتنا الظاهرية وما علاقتها بالإيمان؟

لسنا هنا لنبدأ الجواب عن السؤال من العدم؛ الجواب واضح عندنا فيما جاءنا من الوحي، فقد أخبرنا الله تعالى بكل شيء وبمنتهى البلاغة والجمال التعبيري. لقد أكرمنا فعلا بهذا الخطاب العظيم. دورنا هو التبيُّن بعد البيان، هو التقريب والتوضيح، هو التحليل والتأويل، هو بذل الجهد لتحصيل ما يمكن من المعاني والدلالات والاعتبارات والفهوم، وصياغة ذلك بأساليب فلسفية ومنهجية مختلفة؛ دورنا كذلك أن نواجه الفكر الأدبي والنقدي الذي يبعدنا عن هذه الحقائق، وخاصة عندما تصبح المناهج النقدية معابر للتيه والابتعاد عن حقيقتنا، والدوران في حلقة البُنى النصية أو حلقات البنى التاريخية والنفسية والسياقية، حيث يزعم محللو الخطاب أنهم قدَّموا ما يشفي غليل المحللين من أدوات لسانية ونحوية وسيميائية وبلاغية وأنثروبولودية، ونقود لمواجهة استعمال الخطاب في تحصيل السلطة والهيمنة. ذلك مفيد بلا شك. لكن هناك حقائق وجودية كبرى جهلوها أو أُخفيت عنهم، أو تعمدوا إخفاءها، أو تنكروا لها، أو ليست لها أهمية قصوى عندهم، مثلما لها أهمية جليلة عندنا نحن الذين تلقينا خطاب الله بلغته، وفَهِمنا الرسالة بقدر ما استطعنا، وبقدر وسائط التفسير والبيان بدءا من السنة النبوية الشريفة، ومن فهوم الصحابة رضوان عليهم والتابعين، والمفسرين والعلماء البلغاء، وأرباب الأذواق والمعاني واللطائف المعتدلة.

التقابلية: المبادئ والأدوات

أنهينا الفصول الأخيرة من كتاب"التأويلية العربية" بمقترحات حول استراتيجية التقابل ودوائرها الصغرى والكبرى، وعملِنا في كتاب" تقابلات النص وبلاغة الخطاب" على توسيع مجال الاشتغال، حيث اعتمدنا استراتيجية الفهم بالمتقابلات لفهم خطابات مختلفة من مجال الأدب، والنقد، والمقولات الفلسفية، والنصوص الدينية، والخطابات السياسية...، وخاصة تلك التي يمكن توجيهها للتلقي والدراسة والتحليل في المحافل التعليمية (المدرسية والأكاديمية).

اكتست المقاربة في تلك الأعمال طابعا تحليليا تفصيليا، يروم بالأساس التأكيد على فعالية الاستراتيجية المقترحة، وحدود إجرائيتها للوقوف على بلاغة الخطابات. وكان من الضروري أن تنتهي تلك الأعمال إلى مبادئ عامة وأسس منهاجية، ثم وضع فلسفة شاملة للتأويل التقابلي. لم يتأت ذلك إلا في كتاب "نظرية التأويل التقابلي" إذ عملِنا على تحرير فلسفتنا التأويلية، انطلاقا من تصوراتنا حول"الكون المتقابل"، و"النص المتقابل"، و"التأويل بالمقابل". كما عرضنا رؤيتنا النظرية مستأنسين بالمنهج العلمي، انطلاقا من افتراضات وتحققات واختبارات وصولا إلى إثباتات. وتبعا لما توصلنا إليه من نتائج مريحة قدَّمنا أَهَم المفاهيم المؤسِّسة للنموذج المقترح، وبيَّنا النتائج التأويلية التي يمكن أن يحققها الأنموذج التقابلي عند المؤوِّلين البلغاء والمبتدئين على السواء...

أما كتاب" البُنَى التَّقابُليَّة: خَرائِطُ جَديدَةٌ لتَحْليل الخِطاب"، فهو تعزيز منهجي وتطوير تطبيقي لما حملته الكتب السابقة، وفيه تأكيد على أن:

أ- تقابلات النص الملفوظة والملحوظة من عوامل تماسكه واتساقه.

ب- صناعة النصوص تنتظم بالمعاني المتقابلة تَخَيُّلا وتَخَيُّرا و تحَيُّلا.

د- البناء التقابلي للنص يعكس خطاطات المعنى المتقابلة.

ه- النص كون لغوي متقابل.

و-الفهم -تبعا لما سلف- بناء تقابلي ذهني.

ز- الفهم بالتقابل يستند على مجموعة من الإجراءات أهمها:

1) استحضار المعارف القبلية. 2) وضع الفروض الاستكشافية التقابلية. 3) التحضير الأولي عبر التفكير في الخطاب موضوع الفهم . 4) تحريك "إجراءات البحث" اطلاعا على القراءات السابقة ونتاج الفهوم السابقة. 5)اعتماد بوابة السياقات المتقابلة الداخلية والخارجية لبناء المعنى، وأساس ذلك العمليات الذهنية التي تتسم بها عملية الفهم مثل: التذكُّر، التطعيم، المحو والإبقاء، الربط والتوسيع، التساوق التأويلي الذي تتدافع بموجبه المعاني لحظة الاشتغال على النص فهما أو تفهيما...

ع- التطالب سمة من سمات إنتاج معاني النص تقابليا، فالمعاني يطلب بعضها الآخر بصور مختلفة.

غ- التطالب أُسُّ صناعة التأويل بالتقابل، فالفُهوم يطلب بعضها الآخر بمداخل منهجية متنوعة.

ف- التقابل كامن بالقوة "قوة الإمكان"، ثم بالفعل أي" الوجود بالفعل" في جميع أشكال صناعة الخطاب.

أما المفاهيم الإجرائية فقد صغناها على شكل أنموذج خطاطة تبين عمليتين تحليليتين محوريتين:

أولاهما: بيان التقابلات الأفقية التي تَتَّبع نظام الجملة الخطي التركيبي. ونُذَكر هنا بأن التقابل يُقصد به إحداث التواجه الذهني بين عنصرين أو أكثر ملفوظين أو ملحوظين.

ثانيهما: التقابلات العمودية التي تخترق المعاني الظاهرية إلى المعاني الباطنية في البنية الدلالية العميقة بناء على مُؤَوِّلات جسرية مقبولة[1].

أغنينا عملنا الإجرائي ببعض المفاهيم المتحكمة في مسار التحليل وهي: التقابلات المنطلَق، التقابلات الجِسرية (الوسيطة)، والتقابلات الهدف، التقابل الفاصل والتقابل الواصل، والتقابلات الجزئية والتركيبية (النسقية)، وهي تعكس النظام الذي يتأسس عليه الخطاب، وينبني عليه –تبعا لذلك– تأويله.

وبيَّنا أن التأويلية التقابلية لها نزوع بلاغي وجودي، فالقَوْل البليغ تقابليا يؤسس كينونةً بليغة فعلية، والخطاب البليغ بالتقابل يُحَوِّل الوجود إلى معنى دال له راهنيته ما دام الإنسان يحيا بالمعاني، ويبني بها معرفته بالكون، وينتقل بالمعاني من حال إلى حال، ويزداد قوة وعطاء وجمالا بالمعاني، إذ يحقق اتصالا وثيقا بالمعاني الموجَّهة إليه من خالقه أولا، ثم من المخلوقين ثانيا، فلا يوقِفه التحليل التقابلي عند بلاغة النص ومعانيه فحسب، بل يدعوه إلى نقد الخطابات البشرية، واتخاذ موقف تجاه ما لا يوافق الوجود الدَّال الذي تسعى الفلسفة التقابلية إلى بيانه.

بعد مرور سنوات عديدة على صدور تلك الأعمال، لا نزال مقتنعين أنها تحمل أطروحة ذات قيمة معرفية هامة للفكر التأويلي والنقدي العربي المعاصر، ولنظريات الفهم والتأويل، انطلاقا من المفاهيم النظرية والإجرائية التي تم تجريبها على أنواع متباينة من النصوص والخطابات، وهي تسمح بدفع التأويليات الجديدة نحو آفاق رحبة من التساؤل المعرفي بالنصوص والخطابات، فمنحاها الوجودي سيظل قائما لتعلقه بالإنسان، ومن ثمة فهو يرفض الانغلاق داخل التحليل البنائي أو البلاغي، بل ينتقل من جمال البناء التقابلي النصي والذهني إلى جمال الفعل وجمال أسلوب الحياة، وإلى تعميق النظر في أسرار الكون، مع الحرص على النفاذ إلى المعاني الباطنية، أو معاني المعاني كما سنبين انطلاقا من قصة موسى مع الخَضِر عليهما وعلى نبينا السلام.

التحليل التقابلي للخطاب

من معاني "قابَل" في الاستعمالات العربية الحراسةُ والتتبع والرعاية بكامل الاهتمام، ولا تتم الرعاية التامة إلا بالتقابل المكاني مع الموضوع المحروس، أي التموقع القريب مع المراقبة. وهذا بالضبط ما يحدث في الاشتغال بالفهم والتحليل، فهو مقابلة عن قرب للنص للوقوف على أسراره بقوة المراقبة والرعاية والتفقد التأويلي.

المقابلة (إحداث التواجه الدال) عملية ذهنية فطرية نعمل بها بوعي وبغيره، تنشط لإيجاد العلاقات والروابط بين الأشياء والذوات والعوالم والمعاني، نستعملها في التفكير والإبداع، ويمكن أن يجد هذا مكانه ضمن موضوع العلوم المعرفية التي تعنى بدراسة عمل الدماغ استنادا إلى العلوم النفسية والاجتماعية والذكاء الاصطناعي والحوسبة وعلم الأعصاب والفلسفة. و"القدرة التقابلية" جزء من عمليات الذهن، أو مجموع القدرات التي يملكها الذهن في تقبل المعرفة وإنتاجها، وفي اكتساب اللغة[2]؛ فالتقابلية جزء من نظام ذهني متكامل للتعبير باللغة وبغيرها. أما التقابل التحليلي فنقصد به – كما ألمحنا– بناء التواجه بين العناصر السيميائية الحاضرة والمفترضة داخل نظام تأويلي متعدد المظاهر، يعمل وَفق أنساق كثيرة منها: الاستدعاء، والمشابهة، والتضاد، والترادف، والتراتب، وغير ذلك من العلاقات الممكنة. أما " المقابلة" في البلاغة العربية القديمة فليست إلا مظهرا لغويا من مظاهر التقابل المتعددة التي يمكن استثمارها في فهم الخطابات، وإدراك كيفية صناعتها.

يعكس النص اللغوي البنية الذهنية المتقابلة للكون المعرفي الذي يقصده المنتج بالتأليف، والنص هو نقطة تماثل، أو زاوية حصول الانعكاس، في الجهة الأولى العقل المنتج، وأطره المعرفية، وخرائطه، وذخائره، وميولاته، ولغته، وأدواته المنهجية، وطاقاته الاستدلالية، وكل ما يشكل شبكة التصورات الذهنية

عن الكون، ونظرتها له، وقوة مداركها، وانفعالها بما حولها، وفي الجهة الأخرى فإن كل عنصر من عناصر خريطة الذهن، له ما يمثله في الثقافة والمعرفة والمجتمع والتاريخ ودواوين العلوم.

الخطاب في المنظور التأويلي التقابلي

التقابلية حركة تأويلية يقوم بها محلل الخطاب، يستعرض خلالها بلاغته في الفهم ونباهته وقوة تخريجاته، حيث يقضي وقتا غير يسير في الذهاب والإياب بين بداية النص وآخره، وكأنه يعيد استكشاف مجرى الخطاب، القارئ المتعجل الذي يكتفي بقراءة واحدة لا حَظَّ له في الظفر بألوان التقابل ودلالته.

نواجه بين العناصر إذًا (أ) يقابل (ب) لنفهم العلاقة التي بينهما؛ فعندما أفهم العلاقة فأنا أتبين المعنى، هذه المواجهة الذهنية قد تحدث تلقائيا عندالمحلل بشكل سريع، ومن ثمة فهو لا يعبأ بالتوقف عندها عندما يتعلق الأمر بسماع خبر إعلامي، أو تصريح ما، أو خطاب ساخر، بحيث لا يكون ضروريا الوقوف عند التفاصيل، لأن ذكاء المتلقي أنجز ذلك بصورة سريعة وتلقائية، فحدث الفهم، أو الضحك، أو الانفعال...

لكن في الخطابات المرَكبَّة أو ذات البنية الاستعارية أو التخيُّلية أو البلاغية المعقدة، فإن الأمر يحتاج رسمَ خطاطات ذهنية تقابلية متأنية، وبيان العلاقات بينها بالكلمات أو الرسوم أو الرموز. في السياق التعليمي أو الأكاديمي نحتاج كثيرا هذا المنهج التحليلي لأنه يسمح لنا بالاجتهاد، والتريث ومعاودة الفهوم وتنقيحها ومراجعتها.

لا يعني التقابل التضاد دائما كما في البلاغة القديمة، التقابل الذهني التأويلي هو الربط الممكن مواجهةً بين أصناف من الخَيارات التي يمنحها النص: كلمة (مقابل) كلمة لعلاقة دالة، جملة (مقابل) جملة لعلاقة دالة، صورة مقابل صورة لعلاقة دالة، رمز مقابل رمز لعلاقة دالة، ذات مقابل أخرى لعلاقة دالة، فعل مقابل آخر لعلاقة دالة، انفعال مقابل آخر لعلاقة دالة، معنى مقابل آخر لعلاقة دالة، فقرة مقابل أخرى لعلاقة دالة، ماديات مقابل معنويات لعلاقة دالة، تحولات مقابل حالات لعلاقة دالة، ضمير مقابل آخر لعلاقة دالة، الحقيقة مقابل المجاز لعلاقة دالة، أمكنة متقابلة أو أزمنة متقابلة لعلاقة دالة، زمن مقابل زمن لعلاقة دالة، رؤية للعالم مقابل آخرى لعلاقة دالة، نص مقابل سياقه لعلاقة دالة، سياق مقابل سياق آخر يغني التحليل لعلاقة دالة، بنية صغرى مقابل بنية كبرى لعلاقة دالة، النص موضوع التحليل مقابل نص آخر لعلاقة ما، تقابل البنية السطحية (المعنى الظاهر) والبنية العميقة المعنى الخفي، التقابلات الملفوظة (الظاهرة) والملحوظة(المؤَوَّلة) لعلاقة دالة، التقابلات المنطلق والتقابلات الهدف لعلاقة جسرية دالة، وغير ذلك من المستويات والإمكانيات التي سبق أن بسطناها للقارئ في أعمالنا المشار إليها.

وباختصار، فإن التقابل قدرة فطرية كامنة في البشر داخل التكوين الطبيعي للإنسان، لكن التقابلية النظرية تَعُده نسقا تأويليا، وكفاية تتطور بالتمرين، والتجريب، والإغناء، والتكرير، وحفز الذكاء التأويلي في عملية الفهم. تتطور تلك الكفاية عند منتجي الخطابات كذلك بالانتباه إليها، والعناية بها عند إنتاج الخطابات الإبداعية وغير الإبداعية. هناك أصل نبني عليه وهو الذكاء التقابلي الذي نعتمده تلقائيا في معاملاتنا اليوم مع ما يصلنا من رسائل، فنتساءل: ما علاقة هذا بهذا؟ من هذا ومن هذا؟ لماذا هذا مع هذا؟ ما أصل هذا وأصل هذا؟ ما معنى هذا ومعنى هذا؟ وهكذا، فمثل هذه الأسئلة التقابلية نعمل بها يوميا في تواصلنا اليومي بالخطاب المباشر، لفهم الرسائل التي تصلنا عبر الجريدة أو الكتاب، أو الرسالة القصيرة، أو الحوار الرقمي، أو الشريط القصير...

التقابلية: خرائط جديدة للتوسيع

سعت النظرية التقابلية إلى استثمار هذه القدرات التأويلية عند الناس، وتنظيمها داخل أطر اصطلاحية ومنهجية حتى نواجه بها خطابات تحتاج جهازا مفهوميا دقيقا ومسارا تحليليا متأنيا، ونقصد بهذا تحليل النصوص الأكثر تأثيرا في حياة الناس، وتكوينهم، ومن ذلك تحليل الآيات القرآنية، أو الأحاديث النبوية، أو النصوص الفلسفية، أو العلمية، أو التاريخية، أو الأدبية، في السياق الأكاديمي أو المدرسي تحليلا تقابليا، فالهدف هو منح محلل الخطاب أدوات عملية للفهم العميق أولا، ثم إفهام غيره ثانيا إن شاء ذلك.

من باب التذكير، فإن التقابلات الذهنية التي تتكون عند محلل الخطاب تنطلق من تقابلات كائنة ملفوظة أو ملحوظة، وأخرى ممكنة على نحو ما توضحه الخطاطة:

بنيات النص وتقابلاتها الكائنة في المستوى الأفقي : أ ⟺ ب ⟺ ج الخ

الاحتمالات المقابلة الممكنة في المستوى العمودي : أ (أو) أ' ⟺ ب (أو) ب' ⟺ ج (أو) ج' الخ...

ويمكن تحقيق هذا العمل التحليلي باتباع العمليات الوسيطة التالية[3]:

1. الاستكشاف التقابلي وافتراض العلاقات؛
2. تشغيل الذاكرة التقابلية عبر تبادر المعاني، التذكر والدعم والتطعيم؛
3. التحقق وتوجيه الفهوم وتصويبها أو تصحيحها؛
4. استدعاء الأطر المعرفية الموسَّعة ؛
5. تمحيص المعاني المستخرَجة تقابليا ؛
6. حذف الفهوم الخاطئة؛
7. تركيب الفهوم وإعدادها للعرض على فهوم أخرى أو على النقد العالِم.
8. تقويم الفهوم بمقابلتها بمرجعية فلسفية موجّهة، وذلك أن رهان تأويلية التقابل ليس تحليل الخطاب من أجل التحليل، وبيان العلاقات والفهوم، أو الاحتفاء بجمال الخطاب وبلاغته، أو ذكاء المؤوِّل وبلاغته، وإنما تحصيل الوجود الدال بدراسة الخطاب من أجل الانتفاع به، ونفع الآخرين، والإسهام في بناء وجود عابد قاصد، يروم تحصين الإنسان وتذكيره باستمرار بمعنى وجوده، وحدود التلاؤم بين الخطاب التأويلي وحقيقة الوجود الاختباري الذي هو فيه على الأرض.

تراهن التأويلية التقابلية على بناء الوجود الدال في تناغم مع الحقيقة القرآنية، مع رسالة الله تعالى للإنسان. نعم، هي تقابليات نصية، وتقابلات تأويلية، ولكنها تقابليات وجودية تحرص على الخروج من النص ومن الخطاب إلى الحقيقة الوجودية، وسؤال معنى الوجود.

الأفق الرحب للتقابلية الوجودية

تلك هي الآفاق الرحبة لـــ"التقابليات الوجودية " التي نعمل في الأعمال الأخيرة على توسيع مجالها التصوري، بعد أن أسسنا لها فلسفيا ونظريا في الكتب المتعلقة ببلاغة الوجود، و"البلاغة الكبرى". ونروم – هنا– بيان جانب من ذلك استضاءة بآيات قرآنية، مستهدفين إعطاء دَفعة أخرى للمناهج التأويلية في العبور من الدوائر النصية إلى الدوائر السياقية ثم الدوائر الوجودية والميتافيزيقية .

وهكذا، سنستفيد مجددا من الخطاطة المبسَّطة للتحليل التي تجعل لها منطلقا تقابليا، وهدفا تقابليا مفترضا، فالعنصران المتقابلان المُدركان (أ) و(ب) في البنية السطحية، يمنحان في الدلالات الإيحائية أو

المُرَكَّبة طاقة هائلة للتحليل إن تَسَلَّح المحلل ببعض الاجتهاد الــتأويلي، حيث سيكتشف مسارا وسيطا من التحليل هو التقابلات الوسيطة أو الجِسرية التي يعبر منها إلى تقابلات عميقة، تناسب فلسفة التقابلية الوجودية، ويمكن الاكتفاء في التقابلات الجسرية بمستوى واحد أو أكثر حسب إمكانيات التحليل، وصلابة العلاقات الملحوظة، وقوة التخريجات المقبولة، وملاءمة الترجيحات الممكنة. تسمح الخطاطة التقابلية بتكوين صورة عن مسار التأويل التقابلي، مع الإشارة إلى أن "التقابل الهدف" يكون من باب الافتراض حتى يتم تأكيد ملاءمته وانسجامه مع مسار التحليل ومع التقابل المنطلق منه.

إجمالا تعمل تأويلية التقابل في رؤيتها الفلسفية المُطَوَّرة على تحقيق ما يلي:

1. إخراج مقصدية الخطاب من "الوجود بالقوة" إلى "الوجود بالفعل".
2. تحويل الوجود الدال من القوة إلى الإنجاز.
3. جَعْل العالَم ذا معنى وذا مآل، وربط البنيات الدلالية المؤَوَّلة حالا، بالبنيات الدلالية الممكنة أقوالا وأفعالا.
4. تعزيز العلائق بين التقابلية البيانية والتقابلية الإيمانية العملية والعرفانية.
5. بيان صورة الإنسان في عالم الشهادة وامتداداتها المقابلة في عالم الملكوت استنادا إلى النصوص المرجعية.

من التصور إلى الاشتغال

من المسارات التحليلية التقابلية الممكنة لدراسة الآيات الكريمة (60 إلى 82 من سورة الكهف) نقترح: تقابلية المكونات والعلامات، تقابلية الحالات والتحولات، تقابلية الأزمنة والأمكنة، تقابلية المدار الأصغر ومدارات السورة ثم مدار الخطاب القرآني الأكبر، تقابلية الكون الظاهر والكون الباطن، تقابلية الوجود المكتمل في قصة موسى والخضر بالوجود المحتمل عبر الأزمنة، تقابلية الأحوال الموسَوية في الآيات بالأحوال الموسوية في غيرها من السور القرآنية، العلم المحدود والوجود الدال والكامل، الخروج من بلاغة التقابل الصغرى إلى بلاغة التقابل الكبرى وتقابُل الحياة الظاهرة بعوالم الغيب...

قال الله عز وجل: (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا) 60 (فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا(61) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا (62) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا(63) قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا(64) فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا(65) قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا(66) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا(67) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا(68) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا(69) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا(70) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا(71) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا(72) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا(73) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا(74) قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (75) قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا(76) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا(77) قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا(78) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا(79) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا

أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (80) فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا(81) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (82).

يقتضي المنظور التقابلي أن نواجه بين البنى المعرفية الكبرى (مدونات الثقافة: التاريخ، أو أسباب النزول) وبين البُنى النصية موضوع التأويل(الآيات)، ثم مقابلتها بما ورد في البنية النصية المُؤطِّرة سورة الكهف وفق مبدأ "الموضَعة" أو "التسييق" الذي نعمل به، بل يمكن استحضار ما يناسب التحليل من مقابِلات خارجية تضيء التحليل مثل قصص موسى ومعجزاته عليه السلام. ولذلك فأول احتياجاتنا الذهنية التأويلية هو وضع الآيات الكريمة في مساقها من السورة أولا، ثم في سياقها من تاريخ الدعوة المحمدية؛ فالتأويل هو إجابة عن تساؤلات، عبر التموقع المناسب من موضوع الفهم، ثم القيام بمناورات تحليلية لتحصيل مكاسب تأويلية، ومواقع جديدة للتقدم، ويحتاج ذلك أدوات ومفاهيم وعتادا، وصبرا على الصعوبات والمقاومات، والإمداد بما ينبغي من موارد وعلوم وفهوم سابقة، واستحضار للتداريب والمهارات .

التقابل التواصلي المُؤطِّر

لا شك أن المحلل التقابلي مثله مثل أي محلل للخطاب يستعد بما يكفي ذهنيا ونفسيا لمواجهة موضوعه التأويلي، فهو يدرك أن أرض الخطابات صلبة وغامضة ومخيفة وشائكة، ولذلك لا بد أن يدقق الخطة ويصحح مساراتها، ويستكشف قبل أن ينطلق، ويقيس قدراته أمام صعوبات الخطاب، إنه يسائل كل شيء، يقابل المكونات والمستويات، ويقابل كل ذلك بما لديه حتى يقرر دخول معتركات التحليل، إنه باختصار قارئ استراتيجي متأهب للمناورة، للارتدادات والتقدمات، يملك رؤية للعالم، وله قصد مما يفعل يعبر عن فهمه للوجود، ذلك هو القارئ الوجودي الذي نسعى إلى رسم معالمه في هذا العمل.

من الخرائط التحليلية الضرورية تلك التي تحاول أن تضع الخطاب ضمن تقابلاته التأطيرية المتاحة:

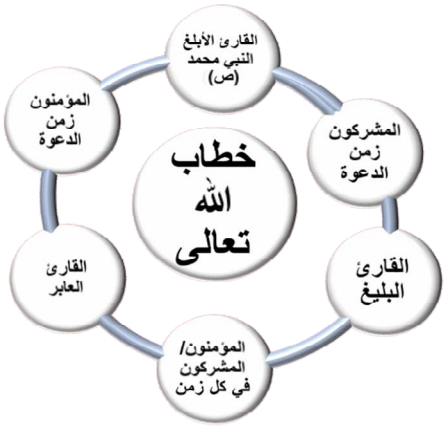

المقابلات التي يطرحها تحليل الآيات تنتفع بمادة وفيرة في التفاسير وكتب السيرة النبوية[4]، وتاريخ الدعوة الإسلامية عن رفض دخول الإسلام والتشكيك فيه من قِبل كفار قريش، ثم اتجاههم إلى اليهود ليعرفوا منهم حقيقة دعوة محمد صلى الله عليه وسلم، حيث أشاروا عليهم أن يسألوه مما يعرفون في كتبهم عن قصة أهل الكهف وعن ذي القرنين، فإن أخبر بذلك فهو نبي، وإلا فساحر وكذاب. قالوا: اسألوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم، وعن رجل طوَّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وعن الروح ما هو؟ فذهبوا إليه: فقال صلى الله عليه وسلم: "أُخبركم بما سألتم عنه غدا"[5]. فذهبوا، ولم ينزل الوحي مدة خمسة

عشر يوما، حتى أرجف أهل مكة به، فصعب عليه ذلك. ثم نزلت سورة الكهف وفيها عتاب للنبي على حزنه على المشركين، وخبر الفتية، وخبر الرجل الطَّواف.

تقابل البُنى القصصية

هذه المقابلة بين السياق التنزيلي وبين النص ضرورية لوضع القارئ في فهم قريب. تنضاف إليها مقابلة أخرى ضرورية داخل السياق البنيوي للسورة، بوضع قصة موسى مع الخضر ضمن سلسلة من القصص المذكورة في سورة الكهف. وهو ما تبينه الآية الرابطة(وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكم موعدا)[6]. فهي تبين للمقصودين بالخطاب قديما وحديثا بأن الله تعالى قد أهلك عادا وثمودا وقوم لوط لما ظلموا، فإذا ظَلَم من يعادي الإسلام مثل ظلمهم فليس بعيدا أن يهلكوا هم أيضا إن لم يتوبوا، وهذا ما يعرضه الخطاب القرآني بعد سرود متتابعة متقابلة دالة: قصة أهل الكهف / قصة رجل الجنتين مع صاحبه/ قصة خلق آدم وسجود الملائكة واستكبار إبليس/ قصة موسى مع الخضر/ قصة ذي القرنين.

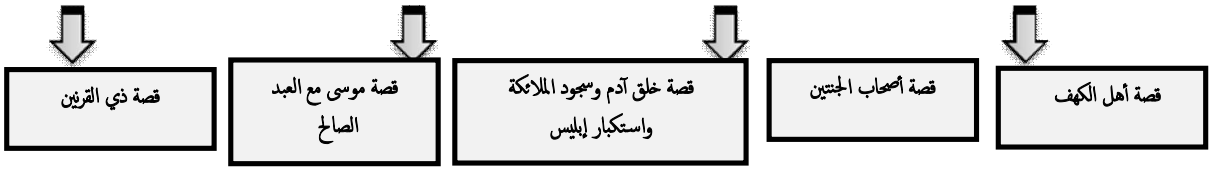

لكل قصة مغزى وجودي لا ينقطع؛ فقصة أهل الكهف دالة على إمكانية البعث الذي ينكره مشركو قريش كما أنكره من قَبلهم، وقصة رجل الجنتين الذي ظلم نفسه، واغتر بجنته، فهلكت وأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها، متندما على شِركه بالله، ومغزاها أن مصير الغني الظالم المغتر هو الهلاك. وقصة ذي القرنين دالة على معجزات الله وإهلاكه للأقوام الظالمة في الزمن الماضي: وتلك سنن كونية وجودية، فما وجد الظلم في بلد أو زمان إلا آل أهله إلى الخسران المبين.

عرضت هذه القصص بشكل تقابلي تتابعي حتى تحمل خطابا تذكيريا بالأمثلة والنماذج على تجدد السنن الكونية وفق القوانين الإلهية. قال تعالى: (ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل وكان الإنسن أكثر شيء جدلا)[7]. ويعزز ماسبق نصوص مقابلة كثيرة من الحديث النبوي، نكتفي منها بقوله صلى الله عليه وسلم:" يا معشر المهاجرين، خمْسٌ إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تُدركوهن، لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا. ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين، وشدة المئونة، وجور السلطان عليهم. ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلا مُنعوا القَطر من السماء، ولولا البهائم لم يُمْطروا. ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله، إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم، فأَخذوا بعض ما في أيديهم. وما لم تحكم أئمتُهم بكتاب الله، ويتخيروا مما أنزل الله، إلا جعل الله بأسهم بينهم"[8].

هذه النصوص المقابلة تعزز مسار التأويل وتدعم وضعه في الأطر الذهنية التي تنشئ مبدأً تأويليا وجوديا أساسيا وهو تذكير الإنسان بمصير الأقوام السالفة، وبقدرة الله تعالى على التصرف في كونه بألوان العجائب، واختصاصه لبعض خلقه بالمعجزات المبهرات، فالقصص الإخبارية الاعتبارية التي حكاها الله لنبيه، وللناس أجمعين، فيها تعزيز للدعوة المحمدية، وإعجاز للكفار بإخبارهم بما تحدوا به النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنها تظل تحمل معانيها الاعتبارية الوجودية مع جمالية لا تبلى في العرض والتصوير.

(وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا(60)فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا(61) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا (62) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا(63) قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا(64)فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا(65) قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا(66) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا(67)وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا(68)قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا(69) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا .

وتقدير الكلام واذكُر لهم (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۖ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا)؛ فالشيطان في كبره واعتزازه بعنصره وحسده وإنكاره للفضل يقابله تكبر الكفار واعتراضهم. تقابلات متجاورة تهدف إلى بيان اللعنة والخزي الذي يؤول إليه كل جبار متكبر من أهل الكفر والضلال، ويمكن اعتبار التفاصيل تقابلات وسيطة بأفعال كل منهما وصفاته. على أن كل ذلك ليس إلا معبرا لتقابلية وجودية دائمة موجَّهة للإنسان في كل زمان ومكان، وكأنه يقال لنا هذا حال من سبق ومآلهم، فلكل فعل رد فعل، فما حالك أنت؟ وما موقعك من هذا؟ وهو التقابل التأويلي الوجودي المحيَّن الذي يفضي إليه التحليل.

ما معنى وجود هذه القصص متجاورة متتابعة؟ عرضت هذه القصص على وجه المقابلة بينها، قد يدرك القارئ ذلك وقد لا يدركه: قصة إبليس في جحوده لأمر ربه قابلتها قصة الكفار في جحودهم لأهل الكهف في زمنهم، وجحود صاحب الجنتين بنعم ربه، يقابل ذلك حال مشركي قريش في جحودهم للنبي وكفرهم بالله، والجامع المشترك: كل جحود مصير صاحبه الهلاك والخسران الوجودي الكامل.

الخطاطة التقابلية الافتراضية

يقابل حالات الجحود الإبليسية والنماذج الكفرية الإنسانية التابعة أنموذج عال في الاستسلام المعرفي، والبحث عن زيادة المعرفة في قصة الخضر، مع الاعتراف بفضل أهل العلم، والبحث عن مزيد من الحقائق العلمية الكمالية، ويقوم نسقها على تقابل منطلق هو: العلم بمحدودية العلم الشخصي والتشوف إلى العلم الكامل، وتقابلات وسيطة سنفصل فيها لاحقا: سفر التعلم، وتقابلاته التفصيلية، ثم "تقابل مستهدف" أساسه الزيادة في المعرفة والعلم والحكمة وطلب المنافع مع الإيمان بعلم الباطن وتقدير الأسرار غير المعلومة فيما يحدث بأمر الله، والتسليم وانتظار انكشاف المعاني والأسرار. وسيقابل هذه البنية فيما بعد تقابل تطواف ذي القرنين بحثا عن المنافع وإصلاح الأرض، ويقابلهما من قبل تطواف الفتية بحثا عن تربية النفس والهداية، ثم افتراضا تطواف القارئ وعودته بمعاني الحكمة والتطلع إلى النهل من علوم الفهم العرفاني، وتطهير النفس، وإدخالها تجربة التأمل والبحث والتربية الإيمانية حتى تتملك الحكمة التأويلية فلا تغتر بالمظاهر فيما يحيط بها في عالمها، بل تحرص على تفقد الجواهر التي تمنح الإنسان سموا في الأرض وسموا في السماء.

النص المفتاح

يمضي التحليل التقابلي ليقارب أكثر من مستوى، فهو يعمل بصورة شبكية توالدية تستعرض الأنساق الظاهرة والخفية من أجل مزيد من الإيضاح والبيان، ثم التموقع المعرفي الوجودي بعد ذلك. تمنحنا الاستراتيجية التقابلية التي يعمل بها العقل التأويلي، والتي نجد حضورها قويا في أي ممارسة تأويلية بشرية، إمكانية استحضار المقابل السياقي الموضِّح، تحتاج الآيات فعلا إلى مفتاح تأويلي، إلى نص نقابله بهذا النص،

ومن أين سنحصل على نص مقبول ومرجعي، نقتنع به، إنه الوحي مرة أخرى، لا شيء مما عند بني البشر يستطيع أن يقف موضحا ومبينا ما استشكل علينا.

عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّه تَمارَى هو والحُرُّ بنُ قَيْسِ بنِ حِصْنٍ الفَزارِيُّ في صاحِبِ مُوسَى، قالَ ابنُ عبَّاسٍ: هو خَضِرٌ، فَمَرَّ بهما أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ، فَدَعاهُ ابنُ عبَّاسٍ فقالَ: إنِّي تَمارَيْتُ أنا وصاحِبِي هذا في صاحِبِ مُوسَى، الذي سَألَ مُوسَى السَّبِيلَ إلى لُقِيِّه، هلْ سَمِعْتَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَذْكُرُ شَأْنَهُ؟ قالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: بيْنَما مُوسَى في مَلَإٍ مِن بَنِي إسْرائِيلَ جاءَهُ رَجُلٌ فقالَ: هلْ تَعْلَمُ أحَدًا أعْلَمَ منْكَ؟ قالَ مُوسَى: لا، فأوْحَى اللَّهُ عزَّ وجلَّ إلى مُوسَى: بَلَى، عَبْدُنا خَضِرٌ، فَسَألَ مُوسَى السَّبِيلَ إلَيْه، فَجَعَلَ اللَّهُ له الحُوتَ آيَةً، وقِيلَ له: إذا فقَدْتَ الحُوتَ فارْجِعْ، فإنَّكَ سَتَلْقاهُ، وكانَ يَتَّبِعُ أثَرَ الحُوتِ في البَحْرِ، فقالَ لِمُوسَى فَتاهُ: (أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وما أنْسانِيه إلَّا الشَّيْطانُ أنْ أذْكُرَهُ)، قالَ: (ذلكَ ما كُنَّا نَبْغِي فارْتَدَّا علَى آثارِهِما قَصَصًا)، فَوَجَدا خَضِرًا، فَكانَ مِن شَأْنِهِما الذي قَصَّ اللَّهُ عزَّ وجلَّ في كِتابِه"[9].

بعد بيان "التسايُقات" الداخلية والخارجية المتقابلة، واستحضار هذه التأطيرات والإشارات التي يشكل بعضها سياقا للآخر، تكون العلاقات قد اتضحت، وهو ما سيسمح لنا ببلوغ المعاني الدقيقة المستهدفة بالتتبع التقابلي اعتمادا على ما سميناه " التساوق التقابلي" أي العمليات الذهنية التي يسوق بعضها بعضا، فهي تتدافع لتصير إلى البيان، هذا التساوق له دور في تنامي مسار التحليل والفهم والإفهام. وسنشرع الآن في بيان التقابلات البنائية، وما تسمح به من تحديد تقابلات منطلق تفضي إلى دلالات متقابلة أو تقابلات مستهدفة من الخطاب.

البنية الأولى: السفر من أجل المعرفة

(وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (60) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا(61) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا (62) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا(63) قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا(64) فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا(65) قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا(66) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا(67) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا(68) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا(69) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا .

واذكُر لهم يا محمد إذ قال موسى (مقابل سابق) مثلما ذكرتَ لهم لما قلنا للملائكة اسجدوا، أُذكر بنية زمنية للاستقبال، أي بعد أن تتلقى الوحي، وهو ذِكر مجازي مستمر إلى يومنا هذا، فلم يعد النبي يذكر وإنما الخطاب الذي جاء به، والمذكور قصة منتهية في زمن موسى، لكن فوائدها تظل حية وقائمة إلى الآن، القص القرآني ليس ترفا، كل ما ذُكر له معنى في وجود الإنسان. ثم تقابل الذوات العاملة في الحدث: موسى مقابل "الفتى" ويطلق على الخادم مجازا، وهو يوشع بن نون[10].

تقابل القول والمقول، تقابل حال العزم بحال الإفصاح عنه، تقابل دافع الفضول الذي حركته القصة السابقة عندما سئل عن أعلم أهل الأرض، وسأل ربه عن ذلك، وقُدمت له العلامات. تقابل حال توهم كمال العلم مقابل كمال العلم الحقيقي. تقابل من يتلقى العلامات بالجحود والنكران بحال من يتلقاها بالتسليم والعزم.

يعزم موسى كما اعتاد على تنفيذ أوامر ربه بلقاء الخضر: لا أبرح هذا الأمر أي لا أتركه؛ حالة اكتواء بحب المعرفة وتطلع للبحث عمن هو أعلم منه مقابل "أبرح" وأستسلمُ وهو غير وارد. وكأنه يريد

باستعمال أسلوب النفي سد باب اليأس من التفكير في الرجوع. المكان محدد وهو مجمع البحرين، قال ابن عاشور:" لا ينبغي أن يُختلف في أنه مكان من أرض فلسطين"[11]، والله أعلم، مقابل الزمن غير محدد ولو تطلب حِقبا أي زمنا طويلا وهو ما يدل على طاقة نفسية كبيرة من الاستعداد لكل شيء مقابل تحصيل العلم. وهكذا نصير إلى التقابلات التالية: الهدف / الزمان/ المكان/ القائد/ المساعد/ الحوت المصحوب (العلامة)[12].

فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (61)

تقابلات حدثية جديدة: بلوغ مجمع ما بين البحرين/ البلوغ بعد زمن / نسيان الحوت/ عودة الحياة إلى الحوت (الطعام يصبح علامة) وكأن المعنى الصبر على الماديات والعناية بالإشارات/ الحوت المملح يتخذ طريقه في البحر.

لتصديق تلك الوقائع لابد أن يقابل القارئ بين المألوف والمعجزة إن أراد أن ينسجم تأويله، فإن كان لا يؤمن إلا بما ألف واعتاد من السُّنن الكونية الظاهرة، فسيتعطل مشروعه التأويلي، لأن المقام هنا مقام معجزات وخوارق ولا يقبل فيها إعمال المنطق، لكنها بمنطق معجزات الأنبياء أمر ممكن، وهكذا سيقابل مباشرة بين هذه الواقعة وبين عصا موسى، وفلق البحر، والنار، ورفع الجبل فوق رؤوس بني إسرائيل، والعجل، البقرة، وضرب الحجر وانفجار الماء، وغير ذلك من المعجزات التي تمت له وهي كثيرة ومذكورة في القرآن الكريم. إن المقابلة التأويلية بين هذه الممكنات واستحضارها يجعل الفهم متناغما.

نسيان الحوت مقابل نسيان حفظ الحوت وتفقُّده، مقابل نسيان تفقُّد العلامة. لماذا الزاد؟ ولماذا السفر؟ ولماذا فضاء البحر؟ ولماذا النسيان؟ والافتقاد؟ والحيرة؟ والعودة الارتدادية؟ ولماذا الحاجة إلى الصبر؟ ولماذا لم يعلمه الله ذلك العلم المطلوب مباشرة ؟ لعلها الشروط المرافقة لطلب العلم وتحصيله في كل زمان.

مسار تعطيل التملك دليل على عجز وقلة حيلة، ووقوع في مقام الانقياد والاستسلام لمشيئة الله، فهو الموجه، وعلى العبد الأخذ بالأسباب، ومراقبة العلامات والإشارات، وتخير الصحبة الصالحة، والصبر على المكابدات، والتحلي بأخلاق التعلم. أهي معان مُولَّدة مفهومة؟ نعم، هي مقابلات مستهدفَة على سبيل الافتراض. وسننظر فيما يعززها من تقابلات واسطية كي يتحقق عندنا الانسجام خلال التحليل وعند اكتماله.

الحوت يسبح بعد أن كان ميتا، مقابل السباحة في بحر المعرفة بعد الجهل. السباحة تعني الابتعاد والتحرك والتحرر، الكفر موت، والكافر حوت محمول يمكنه أن يحيا مجددا بالإيمان ويسبح في بحر الشريعة، موسى كذلك أراد أن يسبح في بحر ليس هو بحر المعارف الشرعية التي في الألواح. الحامل والمحمول كلاهما محمول بمشيئة ربانية، فقدان المعرفة والتيه في الأرض شبيه بالموت والعجز. بالسفر والصبر والتأمل والبحث والاستسلام والتواضع تحصل الحياة المتجددة. تم هذا لموسى، ويمكن أن يتم مقابل ذلك لمن أراد الزيادة في العلم. الأحوال العجيبة دليل على المعاني العجيبة، كذلك الوحي للنبي محمد شيء عجيب بالنسبة للكفار، لابد من اتخاذه علامة على طريق المعرفة الروحية والتغير العجيب في الاعتقادات.

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا (62) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا(63)

البحث عن العلم يلزمه النَّصب والصبر، وأحيانا التيه، تجاوز العلامات (مجمع البحرين)، التعرض لآفات التعب والجوع والنسيان والحيرة، أي غذاء يبحث عنه موسى؟ إنه غذاء الروح أولا، مع ملاحظة نسيان تغذية البدن للاهتمام بتغذية الروح إلى حين تعطل آلة البدن (لقينا من أمرنا نصبا)، التغذية وقود ليس إلا، الهدف الروحي هو الأهم. سؤال ظل يشغلني: ألم يكن الحوت مصحوبا من أجل كونه طعاما؟ هذا هو المألوف، الحوت علامة دالة، لا يمكن فهم رمزيتها البحرية إلا بمعرفة الخبر المذكور في الحديث النبوي:

تفقُّد الطعام بيَّن أن العلامة قفزت إلى ماء البحر، واتخذت سبيلها سَربا، أمر لاحظه يوشع ونسي ذِكره، مقابل ذلك موسى لم ينتبه للعلامة، ومعاناته دليل قصور ما لديه من العلم، استمر مسافرا حتى تعب، فلما سأل عن الغذاء أُخبر أن الحوت انطلق في البحر بصورة عجيبة، وتلقى الاعتذار على النسيان من الفتى لقد كان بسبب الشيطان، ولعله تعجب من ذلك، ومن نسيان الفتى ذِكر ذلك. كان من المنتظر تقابليا أن يلوم موسى فتاه بعد رحلة طويلة مجانية على عدم تذكيره، مقابل ذلك نجد تجاوزا وصفحا وانشغالا بالأهم.

قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (63)قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا(64)

العاقل لا يُسبِق أمرا عرضيا طارئا على أمر جوهري هام، الصفح والتسليم وقبول بالأمر خُلق عظيم، ومقابل هذا فإن أسلوب الاعتذار كان بليغا وشافيا، يحتاج الاعتذار إلى بلاغة التوطئة وبسط الأحوال، ولين الخطاب من أجل الإقناع، وهو مُوَطَّأ بصيغة الاستفهام: أرأيتَ ؟ أرأيتَ أمر نزولنا بالصخرة؟ وكأنه هو نفسه يبحث عن جواب: أرأيتَ ماذا دهاني ؟ هلا أخبرتني بما دهاني؟ ثم جعل ذلك في باب النسيان لا التعمد، وهو دليل على الإخلاص في تحقيق أهداف السفر، وأنه كان مغلوبا على أمره، وإذ لم يعهد فيه موسى إلا التقدم والإخلاص وحسن الصحبة فقد صدَّقه بلا توبيخ ولا تأنيب. أحوال رمزية متقابلة فيما ينبغي أن تكون عليه المعاملة والصحبة من الصبر على الصاحب والتفهم والتغاضي، وترك أسباب الفرقة والاهتمام بما هو أهم مع العناية بأسلوب الخطاب؛. سيما وأن النسيان هنا نسيانان: نسيان تفقُّد الحوت وحفظه مقابل نسيان ذِكر الفقد والإخبار به، وزيادة على ذلك فهو إنساء شيطاني. ومن العادة أن الأعاجيب لا تُنسى غير أن كونها علامة دالة على لقاء عبد صالح من أجل العلم فقد تدخَّل الشيطان للإنساء، وكان كيد الشيطان ضعيفا كالعادة، الشيطان يغيضه تلقي العلوم الصالحة[13]، ولقاء الصالحين. ولعله عَلِم أن أسلوبه في التزيين مع الأنبياء والأولياء لا ينفع، فعمد إلى الإنساء ليُحدث فجوةً بين موسى وفتاه، لكن مع قوة الإيمان وأخلاقه لم يحدث ذلك(إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ)[14]. الشيطان عدو لكل إنسان بالتسويل والتزيين والإنساء، يئس من رحمة الله ولم ييأس من إغواء عبيده ما دامت أرواحهم في أبدانهم.

تعلمنا تجربة موسى كيف ينبغي التغلب عليه، فهو في طريقنا دائما، ليس موسى وحده معنيا بتجربة التعلم، نحن نتعلم من تجربته، فهل ننتصر على الإنساء إذا تفطَّنا للإغواء؟

الصخرة علامة، تُقابِل علامة قفز الحوت الميت إلى البحر، وعلامة مجمع البحرين. تلتقي هذه العلامات في كونها ليست هي المطلوبة بحد ذاتها، وإنها هي مفاتيح المبتغى وهو لقاء العبد الصالح. لا سفر ينجح بلا أهداف وبلا علامات. ولذلك كان جواب موسى حول الهدف من السفر لا حول لواحقه أو متعلقاته، مع بيان أنه هدف مشترك بينه وبين فتاه، فلم يقل ذلك ما كنتُ أبغي، بل قال ما يزيد في تقوية الأواصر، وتجميع الجهد، واحترام الآخر وإشراكه في المهمة، لأن تقاسم الهدف يقوي الشريك ويزيده تعلقا بالعمل، وينسيه ما سبق من أخطاء، فلكل سفر أخطاء ومفاجآت. إشراك الآخر في العمل بالخطاب بلاغة وجودية عالية محمودة في أسلوب التعليم، إنها وحدة رمزية في الخطاب تفضي إلى تشارك في العمل ومضاعفة المردودية. وقد أسفر السفر عن الأخلاق العالية لموسى وفتاه خطابا وعملا وصحبة، وكما قال ابن عربي:" كل سفر لا يُسفر لا يعول عليه" [15].

قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا(64) فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا (65)

مقابل ما حصل من تيه وافتقاد وحيرة وعناء توقَّعنا أن يليه تضجر وأسف وعتاب، لكن موسى قال: ذلك الفقدان هو المراد، الفقدان علامة الوصول، يتبع الابتهاجَ بظهور العلامة الارتدادُ وتقصي الأثر في البر (الأقدام) وفي البحر (أثر الحوت)، الطريق إلى بلوغ الهدف المادي (الصخرة والحوت والهدف المعنوي(لقاء العالم) غير سهل، والانحراف يعني مزيدا من التيه، ومع الاشتراك في جهد الاستقصاء والصبر على محن السفر، تم بلوغ العلامة: الصخرة، ووجود العبد الصالح.

تنقلنا إرادة العلم وإرادة بلوغ مصدره إلى تقابل الذوات والأمكنة؛ طلب العلم لا يعني دائما الانطلاق نحو الأمام، الارتداد والمراجعة يمكن أن يُفضيا إلى لمطلوب، كما أن طلب أقصى مكان أو أعلى شهادة ليس دليلا على تحصيل العلم وأخلاقه، قد يكون العلم المطلوب أيسر مما بُذل من أجله، وقد تجد أخلاقه عند من لم يبذل جهدا في تحصيله، العلوم منح ربانية.

تَقبُّل الارتداد ومطاوعة اقتضاءات السفر العلمي من أسباب النجاح، لا يعني الارتداد الخيبة والخسران، بل ضبط معالم الطريق من جديد، واستقصاء علامات النجاح. مراجعة النفس، وإجبارها على العودة إلى مواقع سابقة لا يعني الهزيمة أو الفشل، إنه بداية لعلم جديد أعمق من سابقه، بداية لتصحيح المسار، والأوبة السليمة إلى طريق الهداية.

كيف حدث اللقاء؟

لا شك أن القارئ يحتاج إلى ملء بياضات سردية، نحتاج نصا مقابلا مفتاحيا لا غنى لنا عنه، يتحرك الذهن تقابليا مستنجدا بأي إضاءة، وليس المجال هنا مجال التقول بلا ضابط، أو الاجتهاد شأن ما يجري في تأويل النص الأدبي. يحتم علينا مبدأ "ملاءمة النُّقول" أن نستعين مرة أخرى بالحديث الوارد في صحيح البخاري: " فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ إِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى بِثَوْبٍ – أَوْ قَالَ تَسَجَّى بِثَوْبِهِ فَسَلَّمَ مُوسَى. فَقَالَ الْخَضِرُ: وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلاَمُ. فَقَالَ أَنَا مُوسَى. فَقَالَ: مُوسَى بَنِى إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ نَعَمْ. قَالَ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا. قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا، يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لاَ تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ لاَ أَعْلَمُهُ"[16] .

لا يقبل التأويل التقابلي – شأن أي تأويل عالِم– فراغات، يحتاج دائما ما يجعل الأحداث متناغمة والفهم ملتئما. تَم السلام، فكان التعارف، وبُسط الغرض من المجيء باختصار: إنه طلب العلم الذي عند الخَضِر، وكما في الحديث:"إِنَّمَا سُمِّىَ الْخَضِرُ أَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ بَيْضَاءَ فَإِذَا هِي تَهْتَزُّ مِنْ خَلْفِهِ خَضْرَاءَ "[17]. التقابل حصل بالتجاور المكاني في وقت واحد، التقابل أصلا في اللغة هو المثول والتواجه والتناظر. وهو هنا تقابل بالحوار والتعارف وبيان المقاصد، وفيه بيان أن العلم الذي لدى الخَضِر ليس هو علم موسى. كلاهما من علم من الله لا علم الاكتساب كما عند فتى موسى وعند سائر الناس. ومع كون علم موسى مما علمه الله من الأحكام والشرائع، فهو قليل أمام علم الخَضِر، وهو ما يوضحه المثال التقابلي الذي ضربه الخضر لموسى وقد ركبا في السفينة:" فَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَنَقَرَ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ فِي الْبَحْرِ. فَقَالَ الْخَضِرُ يَا مُوسَى، مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلاَّ كَنَقْرَةِ هَذَا الْعُصْفُورِ فِي الْبَحْرِ"[18]. وكما جاء في آخر سورة الكهف المقابل الموضح لهذا(قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا)[19]. الخطاب مقابل المثال مُوجه لمن يَدعي العِلم من المشركين زمن الرسول (ص) أو لمن سيدعيه مستقبلا؛ فالأنبياء مهما أوتوا من المعجزات والكرامات والأفضال يقرون متواضعين بمحدودية علومهم فماذا سيكون حال غيرهم.

البنية الثانية: التحولات المعرفية

التحول الأول:

فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (71) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (72) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (73)

اقتضت رحلة موسى والخضر ركوب البحر، فتم ذلك لمعرفة أصحاب السفينة بالخَضِر فحملوهم بغير مقابل، ركوب البحر يعني الخطر، وتحمل الهول، وتحسس الغرق. السفر من أجل العلوم يقتضي المخاطرة وركوب الأهوال، والخوف من الفشل. ركوب السفينة تحول من اليابسة إلى الماء، اليابسة آمنة وفيها قدرة على تقرير المصير، والتصرف والمناورة للاعتياد والألفة، على البحر يكون الماء والموج والرياح هي الحاكمة، في ركوب البحر خوف واضطراب، وتغير أحوال وهواجس وأمل لبلوغ البر. مقابل هذا السفر العلمي خروج من الأمن النفسي والاستقرار إلى البحث والمساءلة والمخاطرة والاستعداد لكل الاحتمالات.

بناء المعنى وركوب سفينة الفهم يحمل كذلك هذه الصعوبات، لا يظفر المُؤَوِّل بشيء وعقله التأويلي لم يغادر أرض الخطاب، يحتاج الفهم مغامرة مليئة بالاشتراطات والمحاورات والتواعدات والتعاقدات وإجبار النفس على تحمل المصاعب والاعتراضات .

يفضي بنا التحول الأول إلى التقابلات التالية:

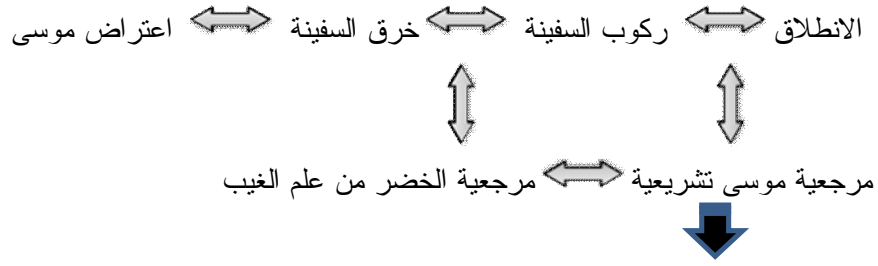

الظواهر يمكن أن تكون علامات خاطئة تحكيم المقاصد والمآلات والتسليم بأمر الله فيما يقع وإن ساءنا ظاهره

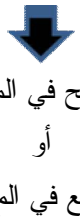

يستنكر موسى ما يرى، نسي ما وعد به، أدرك خطر الغرق، لم يقل "لتغرقنا" قدم مصلحة أهل السفينة، حَكَّم مرجعيته التشريعية، تساءل مستنكرا مقابلة المعروف (الإركاب مجانا) بالشر(الخرق الواضح)، يحتج إذ يحكم بالظاهر المعلم يذكره مقابل ذلك بالعهد. اضطراب معرفة موسى وقلقه شبيهان بوجع البحر ودُواره، اختلال في ربط المرجعية التشريعية بالواقع الذي يناقضها، ثم يتم احتواء الموقف بالتذكير والتماس الصفح والتيسير في التعليم، دروس البحر ليست هي دروس البر، بحر العلوم اللدنية عميق، ليس كل خرق للسفن إغراق لها. وليس كل ابتلاء نهاية.

التحول التعلمي الثاني:

فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا(74) قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (75)

يتم الانطلاق مجددا، يقتل الخَضر غلاما بغير ما يوجب ذلك، يحتج موسى ويخرج عن صبره. خرق السفينة لم يتعقب الركوب مباشرة (حتى) لقاء الغلام يتم عقب لقائه مباشرة(فقتله) [20]. ينفعل موسى لتأويله الظاهري وتحكيمه الشريعة (النفس بالنفس)، ينتفض ويعد ما فعل الخضر أمرا نُكرا لا يجوز السكوت عنه، خاصة وأنه تم فورا وبلا إعداد له أو تمهيد أو بيان، فواجب الإنكار عنده متقدم على واجب التعاقد على الصبر .

خرق السفينة يمكن إصلاحه + احتمال الغرق (إمرا) ⟺ قتل النفس لا يمكن إصلاحه+ قتل محقق(نكرا)

⇕ ⇕

ذريعة للفساد فساد حاصل

قَالَ أَلَمْ أَقُل إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ⟺ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا

معاودة البنية الاستفهامية زائد "لك" تأكيدا للتوبيخ لإهمال العمل، اللام في "لك" لام التبليغ، ذُكرت لتقوية كلام سبق وتبليغه للسامع[21]. موسى يعترف بخطئه لعدم صبره على التعلم القاسي، ويطلب السماح، حرصا منه على إدراك الحقيقة المطلوبة، وبلوغ علم ما عُلِّم الخضر.

قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا(76)

التقاول وَقود التعلم، وهو تقاول لتواجُه مُنْجزين يتمان في زمن واحد: تعليم وتلق، ابتداء الفعل وردة الفعل، علامات وتأويلات مستنكرة. عمل بمرجعية الشريعة وعمل بمرجعية الإرادة الربانية، تأويل بالعقل وتأويل بالوحي.

لكنه كذلك تقاول في ترتيب أجواء الحوار والتعلم. تذكير بعدم استطاعة الصبر واعتذار من قِبل موسى على النسيان أو الإقرار بخرق التعهد والإعلام بتجاوز التسرع. ثم انطلقا نحو الرهان التعليمي الثالث.

الرهان التعلمي الثالث

فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا(77).

مقابل الأفعال السالبة (خرق السفينة وقتل الغلام) تنحو التجربة المعرفية الثالثة منحى إيجابيا: إقامة الجدار. تغيير في منوال التعليم، التعليم السالب (ظاهرا) قد يُمَل، يُخيِّب الأمل، يسبب الاعتراض، التعليم بفعل يوجِب الأمل، وهو تنويع في مسار الاكتساب. لكن ما سر إقامة هذا الجدار؟ بعد الاستطعام يرفض أهل القرية التضييف[22] وفي ذلك دلالة على لؤمهم، هذا هو الانطباع الظاهر الذي يتكون عند موسى، بعده يجد الخضر جدارا يوشك على السقوط، فيُقيمه بلا أجر مع شدة حاجتهم إلى الطعام. أشار عليه بيديه فاستقام، وقيل: أقامه بعمود، وقيل أقامه بيده[23]. الخطاب القرآني لم يذكر الكيفيات الثلاثة: كيف خرق الخضر السفينة، وكيف قتل الغلام، وكيف أقام الجدار؛ الفائدة المستهدفة كامنة فيما ذُكر لا ما تُرك.

الحرمان من التضييف رد فعل مقابل أخذ الأجر عن عمل منجز واضح، هكذا ينبغي أن تسير الأمور من منظور موسى عليه السلام، لم ينكشف له بعد سر أفعال الخَضر، لا يزال يعامل العالم بمنظور ظاهري، فيلوم

الخضر على فعله. الحقيقة الظاهرية المؤوَّلة ستؤدي إلى توقف التعلم، لأنها تتغذى من منظور مرجعي ظاهري.

تأويلية ظاهرية ⟺ تأويلية غيبية لدنية

⇓

تعارض واضح في الفهم يُعجل بالفراق

سبب اللقاء بالخضر سؤال موسى ربه عن أعلم الناس، وسبب الفراق سؤال موسى للخضر: قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا (76). السؤال منطلق المعرفة، من يرغب في المعرفة يسأل، يتساءل. أخذ الخَضِر اشتراط موسى على محمل الجد التام، لا مجال للتساهل في مضمون الخطاب، الالتزام العملي يكون على قدر القول. لقد تم بلوغ تمام العُذر في رحلة المعرفة. وحان وقت البيان وتأويل مسار التعلم، والكشف عن خطإ التأويلات التالية المستخلصة من العلم الموسوي:

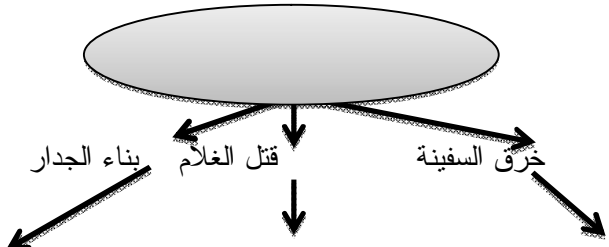

البنية الثالثة تأويل للبنية الثانية

قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (78)

يحدث التوقف والفراق بسبب الاعتراض الثالث، أي هذا الفراق بسبب السؤال الذي وعدت أن لا تسأله ففعلتَ، أو هذا فراق حصل، وقبل الفراق هاك التأويل إلى ما يؤول إليه أمرُ ما رأيتَ، فكل فعل فعلتُه عندي له مرجع غيبي، ومقصد، ومعنى غاب عنك. وهذا تأويل ما تجاوز صبرك وضاق به صدرك.

تردُّد السؤال الباحث عن تأويل ما جرى أوقفَ رحلةَ التعلم، ورحلة الاطلاع على عجائب الغيب التي علَّمها الله سيدنا الخضر. ولقد كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم مدركا لهذه الحقيقة لما يعرف من الوحي، ولما أوتي من المعارف القدسية، فقال في نهاية الحديث السابق:" "يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا"[24]. المنظور المحمدي نَهِم بالعلم اللدني، بالاطلاع على الحقائق الغيبية، وعلى سنن تصرف الله تعالى في شؤون الخلق، وكان يود معرفة المزيد مما يمكن أن تصير إليه الأمور بين موسى والخضر.

توقف نظر موسى وعلمه عند المعرفة الظاهرية. مقابل هذا سنرى كيف تم تأويل تلك الوقائع أي إلى ما يصير إليه فهمها ممن لديه العلم اللدني.

(أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا(79) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا(80)فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا(81) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا

صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (82))

تحليل التقابلات

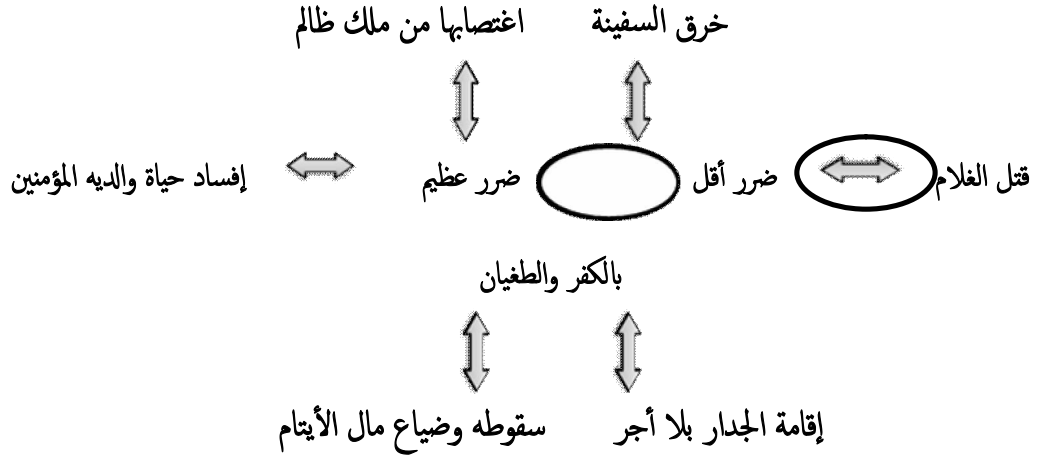

ويمكن التفصيل في التقابلات الدلالية الصغرى على النحو التالي:

تقابلات السفينة الجسرية

(السفينة ⟺ البحر)/ (المحمول ⟺ الحامل) / (الوسيلة ⟺ الغاية)(العمل في البحر)/ (المساكين ⟺ ملك غني)/ (يطلبون حلالا ⟺ يطلب حراما بظلم)/ (التعييب الظاهر ⟺ تزهيد الملك في السفينة)/ (الإفساد الظاهر ⟺ المصلحة الخفية)/ (الإغراق الظاهر ⟺ الإنقاذ حقيقة)/ (علم الشهادة ⟺ علوم الغيب).

التقابل التأويلي المطلوب

ما يؤسفك ظاهرا ليس كله شر ⟺ ما يفرحك ظاهرا ليس دائما خيرا

التقابل الوجودي

العالَم عالَمان

عالم الشهادة الملحوظ ⟺ عالم الملكوت

⇕

التسليم بالقلب ⟺ الوجود الإيماني والعملي

التقابلات الجسرية للمتوالية الثانية

الغلام ⟺ أبواه/ الغلام طاغ وكافر ⟺ الأبوان مؤمنان/ موت الغلام الفاسق ⟺ الأمل في غلام زكي ورحيم/ مصلحة الاثنين أولى ⟺ مصلحة الفرد المعتدي أدنى / ما سيرزقانه بعلم الله ⟺ ما فاتهما من ولد ظالم. ما يحتمل أن يكون من تألمهما بقتله ⟺ ما يحتمل أن يعوضا به خيرا منه جانبا وبَركةً ورحمة.

التقابل التأويلي المطلوب

ما يؤسفك ظاهرا ليس كله شر ⟺ ما يفرحك ظاهرا ليس دائما خيرا

التقابل الوجودي

العالَم عالمان

عالم الشهادة الملحوظ ⟺ عالم الملكوت المشهود بنور من الله

⇕

التسليم لإرادة الله في ملكه ⟺ الوجود بحكمة ونظر إيماني

التقابلات الجسرية للمتوالية الثالثة

الجدار ⟺ الكنز/ الأب الصالح ⟺ الغلامان اليتيمان/ الكنز الملحوظ ⟺ الكنز المحفوظ/ الكنز المادي ⟺ الكنز المعنوي/ إرادة الله ⟺ إرادة الخضر ⟺ إرادة موسى

تقابلات مفهومة مُستهدَفة

⇕

استخراج الكنز كان ممكنا من قبل الخضر لأنه محتاج ⟺ الزهد في الكنز وتوقير مال الخير ولو تم الاطلاع عليه

الإقبال على مال الغير ⟺ خدمته وتحصينه حتى يصل أهلَه

صلاح الوالدين ⟺ موجب لحفظ حق الأولاد

أفعال الخضر أمر من الله ⟺ نفي أن يكون ذلك من علمه وإرادته

التقابل التأويلي المطلوب

ما يؤسفك ظاهرا ليس كله شر ⟺ ما يفرحك ظاهرا ليس دائما خيرا

التقابل الوجودي

العالم عالمان

عالم الظاهر ⟺ عالم الغيب

⇕

المنح مَنْع ⟺ المنع مَنْح

ولعلك تلاحظ أن الإرادة فيها هنا تقابلات، فلما ذَكر العيب (أردتُ أن أعيبها) نسبَ العيب إلى نفسه[25]،ولما ذَكر قتل الغلام نسب الإرادة إلى الجمع(فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا)تنبيها على أنه من العظماء، ولديه حكمة عالية، ولما ذكر مصالح الطفلين نسب الإرادة إلى الله (فَأَرَادَ رَبُّكَ) فهو القادر على حفظ مصالح الأبناء اليتامى لأجل صلاح الوالدين. ولعل القارئ الذي يعرف قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم، ستحضره التقابلات التالية

السفينة المذكورة ⟺ التابوت الذي وُضع فيه موسى لحفظه من بطش فرعون

الملك الظالم ⟺ فرعون

قتل الغلام ⟺ قتله لرجل من حاشية فرعون

إقامة الجدار بلا أجر ⟺ عندما استقى للمرأتين بغير أجر

بين ما استنكره موسى على الخضر وبين حقيقته في علم الغيب جدار كان ينبغي أن يسقط، بين علوم الشرائع والأحكام وبين علوم الباطن حجاب لا يسقط إلا بمعرفة غيبية يؤتيها الله من يشاء من عباده، ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا.ألا يمكن – على سبيل توسيع مجال الإبحار التأويلي– مقابلة قصة موسى مع الخضر بقصته قبل أن يتحمل أمانة الرسال؛ فعندما قذفته أمه في اليم ظاهره الغرق والموت على الاحتمال الظاهر، وباطنه النجاة والحياة.وقتله للقبطي ظاهره اعتداء وفساد في الأرض، لكن باطنه الطرد من المدينة استعدادا لحمل الرسالة، وظاهر سقي موسى للمرأتين أنه عمل دون أخذ أجر أما فهو الباطن حماية حق ضائع. ويمكن توسيع مجال هذه الإبحارات التأويلية التقابلية لتمتد إلى تقابل العوالم الظاهرة والغيبية في قصص الأنبياء الآخرين(زينة قارون)، بل إلى ما نعرفه في واقعنا من الأحداث التي بدا ظاهرها شرا فإذا هي خير عميم، أو بدا ظاهرها مبهجا فإذا هي شر مستطير.

تقوم التأويلية التقابلية على مبدأ "التموجات التأويلية المتوسعة"، مثلما ذكرنا فهي تنطلق من بنية تقابلية صغرى داخل النص، لكن التطالبات الذهنية تجعلها تتوسع بما يغني الفهم ويزيد المعنى وضوحا، فنصبح في "مدارات تقابلية وجودية" شاملة يكون لها تعلق مباشر بمسارنا الحياتي ومغزى حضورنا في هذا العالم.

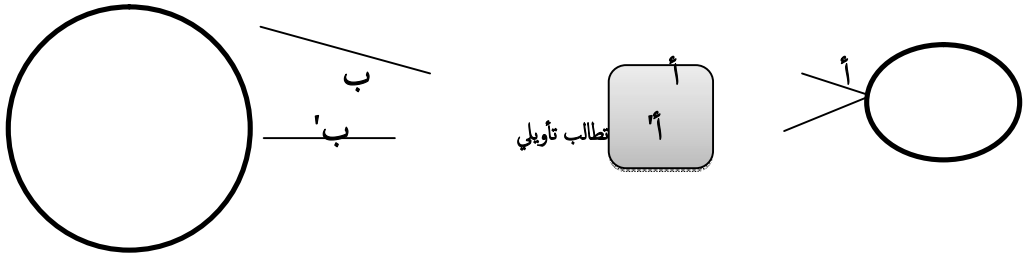

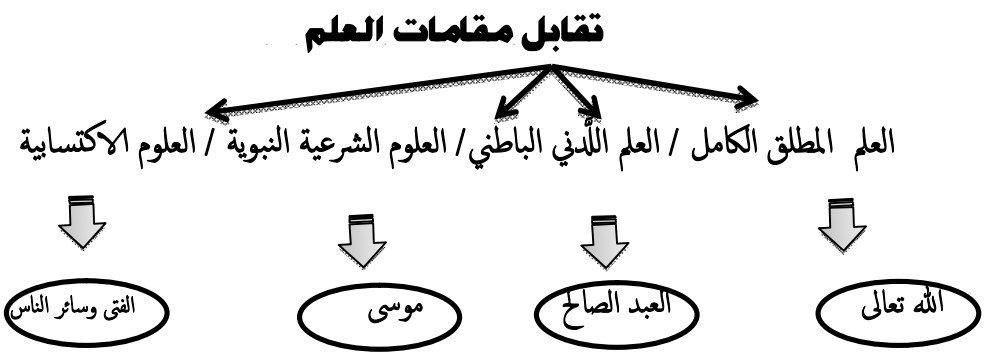

مسار العلامات في القصة ومقابلاتها الدالة

أ)الحوت أُخرج من الماء أُريد منه الطعام ⇐ أصبح علامة على مكان العالِم ⇐ عاد في البحر ثانية

⇓

أ') الحوت كان حيا ثم مات وحُمل في السفر ثم عاد إلى الحياة

المقابل المفهوم في البنية العميقة

⇓

أ")الإنسان خلق من تراب ⇦ وجوده على الأرض علامة ⇦ العودة إلى الأصل التراب

⇩

أ"')الإنسان يولد يحيا ثم يموت ويُنقل في سَفر أخير ثم يُصبح علامة اعتبارية لغيره ثم يُبعث حيا

⇩

أ"") يولد الإنسان على فطرة الإسلام ثم يموت مجازا بالكفر والمعصية والبعد عن ربه، فإن عاد إلى الإيمان عادت إليه الحياة

⇩

أ""") إحياء الحوت الميت وإحياء الأرض بعد موتها مثال بَيِّن لمن ينكر أنه سيبعث من أجل الحساب

مقابل البنية النصية الدالة على جمال أدب الفتى يوشع وبلاغته في الاعتذار والبيان، نجد علو بلاغة موسى في التماسه التعلم من الخضر، وهو مقابل لما ينبغي أن يكون أسلوبا لطلب العلم عند طالبيه في كل زمان.

قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا(66)قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا(67)وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا(68)قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا(69)قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا(70)) .

يمكن أن نستخلص من هذه الآيات ما يعيننا على فهمها عبر تقابلات جسرية متعددة:

ب) هل تأذن لي في أن أتبعك ≪ ≫ كان متبعا في قومه شرقا وغربا

ب') اتباع تعلم ومطاوعة وتسليم≪اضر ≫ مقابل اتباع تعلم وجدال ومنازعة غير وارد

ب") تعلم بعض ما يعلمه الخضر ≪ ≫ الطمع في كل العلم غير وارد

ب"') اعتراف وإقرار أنه تعليم من العليم (مِمَّا عُلِّمْتَ) ≪ ≫ نفي أنه من علمه

ب"") تحديد موضوع التعلم الرشد ≪ ≫ نفي للغي والفساد وكأن المعنى فحتى ولو كان لك علم أكثر مني يفسدني فلا أطلبه :طلب العلم النافع نفي لطلب نقيضه

ينقلنا الحوار تقابليا إلى اشتراطات المعلم:

ج)اشتراط الصبر على التعلم وتجنب الجدال ≪ ≫ ما اعتاده موسى من جدال قومه والاعتراض عليهم والاستدلال لهم بالآيات والمعجزات والأقوال

ج') الخضر يعلم أن طبيعة العلم الذي يطلبه يقتضي الصبر والتسليم والتحمل ≪ ≫ عدم علم موسى بأصول تلقي ذلك العلم

ج")حِرص الخَضر على اكتمال التجربة المعرفية ≪ ≫ انقطاعها وتوقفها بالمساءلة والاعتراض

ج"') إرادة الصبر ممكنة ⇔ استطاعة الصبر ممكنة

⇩

تترتب عن الفُهوم السابقة طبقات أخرى من التقابلات البنائية التي تجعل المعاني تتنامى في اتجاه الدلالات المستهدفة:

د) الخضر يعلم أن ما سيراه موسى يخالف شريعة موسى ⇔ موسى لا يعلم بذلك

د')توقع عدم الصبر من قبل الخَضر لمعرفته بموضوع العلم ⟺ ادعاء الصبر من قِبل موسى
د")ترفع الخضر وتغليظ الخطاب لمقام العلم ⟺ تواضع موسى وقبول الشروط مع تأدب شديد
د"") المعلم خبير بأسلوب التعليم المبهج ⟺ المتعلم متسرع ومزعج
د"")الرغبة في معرفة الأسرار بعجلة مفسدة التعلم ⟺ التريث والإمهال يحقق المطلوب
د"")التحول من سفر ناصب ومشاهدة العجيب ⟺ سفر علمي صارم وشاق ورفقة عجيبة

⇩

تقابل التقابل (معنى المعنى)

ه) ما يظهر أنه يخالف الشريعة ⟺ قد يكون باطنه عين مقاصد الشريعة
ه') من يحكم بالظواهر ⟺ من يحكم بالسرائر والمعاني والمقاصد
ه") التحول من علم الشرائع ⟺ علم الأحوال الباطنة وأسرار السنن الكونية
ه"") فهم خطاب الشريعة ⟺ فهم خطاب التطبيق العملي للشريعة
ه"") العالم مسير بقوانين الشريعة والقانون ⟺ العالَم مسير بعلم الله
ه"") النبي موسى لا يعلم كل شيء ⟺ لا تنتظروا من النبي محمد أن يعلم كل شيء
ه"") خطاب مباشر لموسى وللنبي محمد ⟺ خطاب غير مباشر لكل من يدعي نهاية العلم

نعمل في إحداث هذه التواجهات بروية وتريث تاركين للعقل فرصة تأمل المكونات والحالات والعلاقات والمعاني. المواجهات التقابلية تقديرات عقلية تعتمد الاجتهاد في الفهم وتأنس بالفهوم السابقة، وتستثمر ما تأتى لها من علوم الخطاب.

ويجوز أن نعد كل ما ذكرنا من تقابلات تأويلية مُولَّدة تقابلات وسيطة بين التقابل المنطلق والتقابل الهدف الذي يحقق الدلالات والمغازي المقصودة في الخطاب في هذه البنية النصية:

موسى لا يملك المعرفة اللدنية (حال) موسى يرغب في استكمال المعرفة(رغبة في التحول)

⇕ ⇕

تقابلات الذوات والتحولات والأحداث والاشتراطات والإجابات تقابلات نصية تأويلية جسرية

⇕ ⇕

العلوم تكتسب بما يشق على النفس ⟺ ما يكتسب بغير مشقة لا يدخل في تكوين العلوم
إن اتبعتني (فعل شرط) ⟺ جواب الشرط لا تسألني إلى غاية فراغي فأبين لك حقيقته

⇕ ⇕

الوقوف على صعوبة المعرفة القاصدة الظفر بالمعرفة الهادفة

⇕

تعلم العلوم سفر وجودي قاصد ومستمر

⇕

لاتحكم على الظواهر حتى تعرف الحقائق

التقابل المستهدف النهائي من تقابليات موسى في سعيه إلى معرفة الحقيقة هو تقابلنا الوجودي اليومي مع ما يحدث في العالم مما نراه، ونفسره لحساب ما نريد، وما نرغب فيه، غير مستسلمين لما يريد الله. أحكامنا لا تتجاوز الظواهر والله يتولى السرائر. قصة موسى مع الخضر دليل على أن بلوغ نهايات التأويل والفهم يحتاج صبرا، ونظرا مبسوطا، والتسليم لمراد الله في خلقه حتى تتضح الحقائق بدوران الأحداث وبلوغ الأقدار آجالها. فلكل أجل كتاب، وكثيرا ما تقع لنا أشياء فنحزن ونبكي ونتألم فلا نعرف ما وراء ذلك من الخير إلا بعد مرور الزمن، فنكتشف أن ذلك الألم وتلك الحسرة ما كان لها أن تكون، فالله يختار لنا الأحسن والأنقى والأرقى، ولكننا نتألم لذهاب القليل، لضعف البصيرة والعجز عن إدراك أسرار الإرادة الإلهية فينا. ولو عرفنا سبب ما يمنع عنا لتعجبنا من حرص الله علينا ولذابت قلوبنا من محبته. قال تعالى:(وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)[26]، وفي الحديث " لا يقضي الله لمؤمن قضاء إلا كان خيرا له"[27]، ولذلك قال ابن عطاء الله: " ربما أعطاك فمنعك وربما منعك فأعطاك"، وقال:" إنما يؤلمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه"[28].

يمكن تبعا لما سلف من تتبع للتحولات ا لمتقابلة بوساطة الخطاطة المرجعية أن نلخص ذلك في أن:

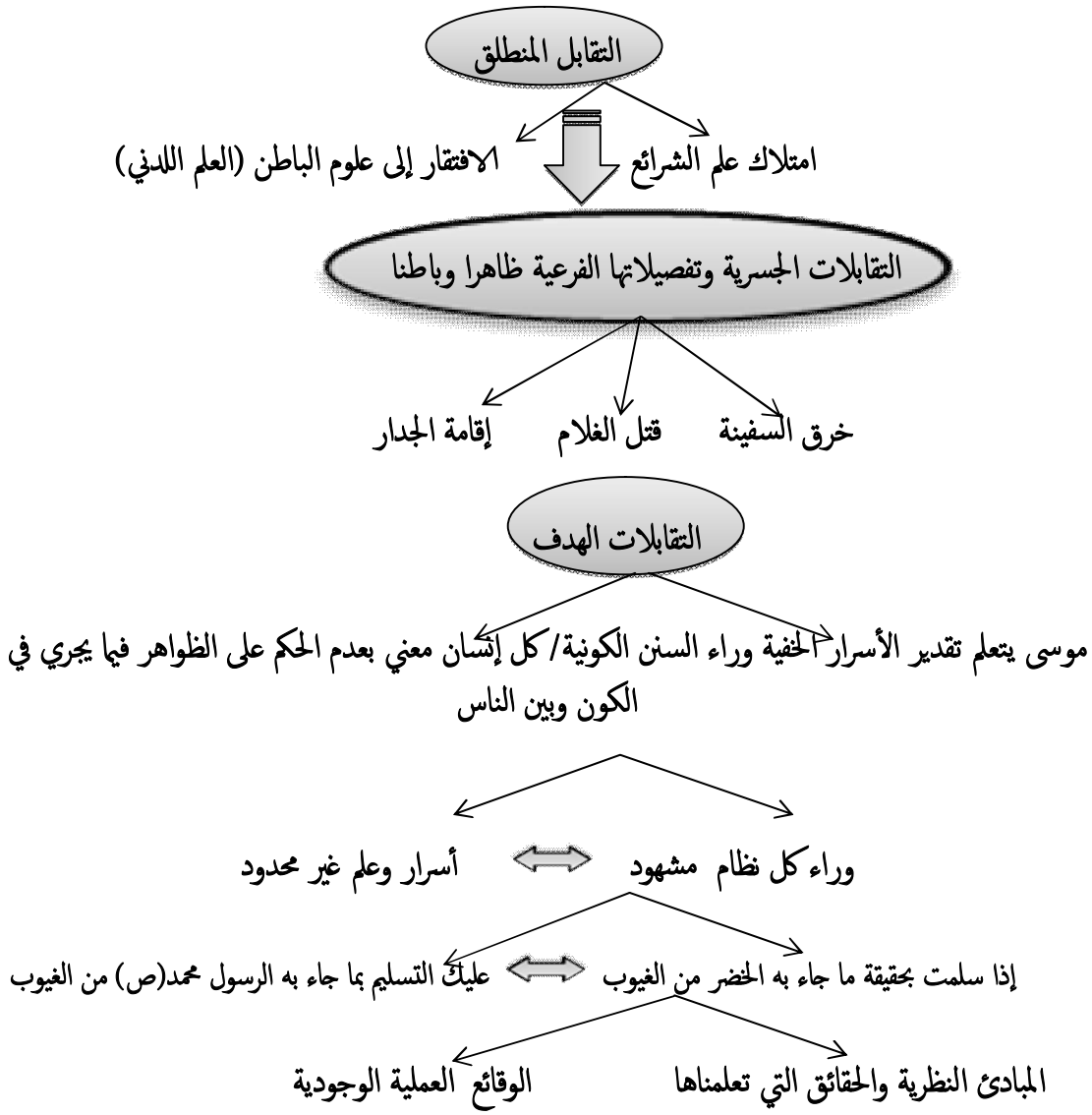

فضلا عما سبق، فإن من أهم استنتاجات هذا التحليل أن تعليم العلوم لا ينبغي أن يكون كلاما نظريا، بل تجربة حية مليئة بالإشكالات والحيرة والتوتر والقلق المعرفي، فلم يُقدِّم العالِم للمتعلم معرفةً نظريةً: افعل لا تفعل، أو قل ولا تقل، أو حكما عاما مفاده أن وراء الظواهر خيرها وشرها حكمةً ربانية خفية، وعدم إدراكها لا يعني أنها غير موجودة، وأنه لا يمكننا الجزم المطلق بالأحكام، ولقد ابتلي موسى في طلبه العلم بما ظن أنه يعرفه حق المعرفة، ويستطيع أن يحكم فيه وعليه، لكن لم يوفق، ولعله اهتدى أن علم الشرائع ليس علما كافيا، بل هناك حاجة إلى علوم الفهم الباطني، وعلم تأويل المقاصد والغايات البعيدة من كل ما نراه ونسمعه ونحس به، والخطاب بعد زمنه موجه للناس قاطبة.

أما الباحث في نظريات التعلم فسيستنتج أن المعرفة المرجعية لها دور أساس في توجيه المعرفة المستجدة، وأن العبور إلى بُنى معرفية جديدة يحتاج التجربة الفعلية وقلقها وإشكالاتها ومعاناتها، ولا بد لهذا من معلم عالم يرقى بالمتعلم من لحظة معرفية إلى أخرى جزئيا، حتى تتعمق حيرته في الفهم، ثم يتدرج معه في تقديم الحقائق؛ فمقابل البنيات المتراتبة التي حيرت موسى عليه السلام(خرق السفينة/ قتل الغلام/ إقامة الجدار) أتى البيان والتفهيم بشكل تأويلي تقابلي منتظم الحلقات.

إن المعرفة سفر روحي وعقلي ونظام متبع وتجربة، وليست أحكاما جاهزة تُقدم لمن يطلب العلم، والتحصيل الحقيقي هو الذي يصحبه ألم التعلم ومعاناته؛ ومن ثمة فالمعرفة الوجودية الحقة بأي منهج تمت لا ينتظر تحصيلها بالمطالعة أو الوعظ فهذا قليل نفعه، بل لا بد من الاكتواء بحرقة الأسئلة والإشكالات، ثم الصبر على تحصيل الفوائد. وهكذا فمن أراد أن يُعَلِّم غيره فلا يعلم بالخطاب الوعظي، بل يعلم بالخطاب التجريبي الاعتباري، أو بتقديم الفعل الأنموذجي الذي تدرك منه الحقائق، فيكون تعليما قويا لأنه استنتاج وفهم وتحصيل، بعد التجربة والقلق والسفر المعرفي، ولا يتحصل هذا للمعلم إلا بالتدريب والصبر والفهم وحب التعليم.

خلاصات

أ- سيدرك القارئ المهتم بالتقابلية البنائية، والتقابلية التأويلية، والتقابلية الوجودية، أن عمل المؤَوِّل المحلل عمل معرفي جوّال، يُنَشِّط حركةَ الذهن، وحركة البحث في المقابلات السياقية والخبرية واللغوية والنصية الاستشهادية، وهو ينمو بإحداث التواجهات البانية بين المكونات والحالات والعلاقات والمعاني. هذه الحركة التأويلية وإن اتخذت تشكلات عديدة إبعادا للملل عن القارئ، فإنها في العمق تنطلق من المسارات التالية: الاستكشاف بمنظور التقابلات، تحديد تواجهات البنيات، مواجهة البينات بالموازيات والمرجعيات، تفعيل سيرورات التواجهات، بيان العلاقات، ثم الخلوص إلى المعاني والدلالات ودلالات الدلالة.

ب- سيجد المحلل بالمنظور التقابلي -إن تأنى وتأمَّل- متعة وفائدة في التحليل لنفسه أولا ولغيره ثانيا. غير أن هذا لا يتم إلا بثلاثة شروط:

1- المعرفة بقوانين التأويل وكفاياته.

2- الجولان في فهوم السابقين وربط المعرفة بأصولها اللغوية والنحوية والبلاغية والسياقية.

3- بذل الجهد التأويلي والتجريب والمراجعة المترددة.

ج- تهدف التأويلية التقابلية في مطمحها الوجودي إلى ربط الخطابات بوجودنا الراهن، وبحقيقة حضورنا في هذا العالم، فليس الغرض هو التعجب مما حدث لموسى مع الخضر، ولا مما حدث للنبي محمد(ص) مع المشركين، ولا من قدرة المحلل في مناوراته التأويلية للبُنى المتقابلة، والعلاقات، والدلالات، بل تعزيز

منظور"البلاغة الكبرى" بالتموضع الوجودي المناسب الدال على أننا معنيون بالخطاب في كل صغيرة وكبيرة، وأن المعاني التي أفضى إليها جهد التـــأويل لا تكتمل إلا بتحويلها إلى فِعل مُؤَثِّر في المعرفة والوجود.

د- المنظور التأويلي التقابلي الوجودي خيار منهاجي إلى جانب خيارات منهجية كثيرة، على المؤَول أو محلل الخطاب ألا يلقي بنفسه في مائها بلا تريث، وبدون تقدير للعواقب، ومساءلة حدود الفعالية والنجاعة؛ فإذا أحضر الرجل إلى بيته عامل كهرباء أو رَصَّاصا وهو غير محتاج لخبرتهما وليس لديه ما يُصلح، ربما وُصِف بالبلاهة وسوء التدبير. فلماذا لا يحصل مثل هذا في مجال العمل بالمناهج والمقاربات التحليلية؟! ربما لأن الخسارات لا يتحمل تكلُفتَها أحدٌ، وإنما تظهر آثارها في ما يعيشه الواقع النقدي. ولذلك فتحصين هذا المجال يُعَدُّ من أدوار نقد النقد، والنقد المعرفي للنظريات والمناهج.

ه- إن المحللَ الذي يعتمد التقابليةَ، وما تتضمنه من تطبيقات على النصوص، قد لا يتحقق لديه الضبط المنهجي الكافي أول الأمر، ولا تحريك الأدوات كما ينبغي، ولا تحصيل المتعة المنتظَرَة بالعبور من تقابلات منطلق، إلى تقابلات هدف، عبر تقابلات جِسْرية إلا بتلقي تجربة مباشرة ممن يُحْسِن هذا. إن تحصيل العلوم يقوم على تمهير مدرسي الأدب بكيفيات بناء المعنى؛ فلا تُكتسب المقاربات إلا بالاستعداد والخبرة والدُربة والمناورات التأويلية العريضة.

و- بقي أن نبين أن منوال التقابل قد ينطلق أحيانا من معان بيِّنة، ليس لبيان المعنى لأنه في غير حاجة إلى بيان، وإنما لبيان شكل صناعة المعنى وتقسيمه إلى جزئيات وعلاقات، وبيان مجاريه في باب النظم والأسلوب، والوقوف على أسرار الجمال فيه. فإذا حصل أن المؤَوِّل لم ينجح في الوصول إليه، فإن القفل أحيانا يَعْسُر أن يُفتَح لصاحب البيت مع أن المفتاح في يده، فيلجأ إلى كَسر القفل. في نهاية المطاف تكون الخسارة كسْرَ القفل واستبدالَ المفتاح، وربما استبدال الباب لا هدمَ الحي بأكمله.

ز- التقابلية في مسارها التطوري شبيهة بكرة ثلج أصلها قطرات ماء تجمدت، ثم تدحرجت فكَبُرت، ثم تحولت إلى جبل بارد وجامد يُبْرِدُ المكان والعقلَ والروحَ والقلب، ثم يتحول بالدفء والحرارة إلى ماء يجري في البراري فيسقي الحرث والنسل. وقد حدث هذا بقوة الاحتكاك بمقولة التقابل الكوني، والتقابل اللغوي النسقي في القول، ثم المراجعة النقدية الصارمة، والبحث والمساءلة عن الذات في المعرفة، وعن المعرفة في المرجعية. وكان الحبل طَوال ذلك ممدودا متينا ساخنا وحارقا لِما يتعلق به من أثقال النهل من بئر التراث العميقة الصافية والباردة. وقفنا على شفير هذه البئر كما وقف آخرون على غيرها فلم نُرْخِ هذا الحبل الحارق، وأَمْرُنا رَفْعٌ وجَرٌّ واسْتِقاء، ولأننا ذُقنا ماء آبار العلوم التراثية العذبة الصافية قررنا أن نملأ قِرب كل العابرين والمسْتَقين، وأن نبني مَوْرِدا للشاربين والمرتادين. وكذلك كان، ولعله في الإمكان خير مما كان .

ح- أخيرا، إن الغربيين وإن تقدموا صناعيا وحضاريا لا يعلم جُلُّهم عن تراثنا شيئا كثيرا، ولا يفقه من أمر ديننا شيئا ذا بال. ويكتفي -غالبا-بقشور خبرية من الإعلام، ووصفات جاهزة يُحَوِّلها إلى تمثلات خاطئة عن شريعة الإسلام والمنتسبين إليه، ثم إلى مواقف وتكتلات نتج عنها خراب البلدان والعمران، واستلاب الإنسان واستعباده، ولذلك لا عذر لنا في التبعية العمياء، وفي التنكر لتراث تأويلي عظيم يحفل كثيرا باستحضار عالم الغيب وعالم الملكوت وعلوم الباطن، ويؤسس على ذلك قوته الإيمانية والوجودية بما يقوي مساءلة النفس، وتقويم الروح، وتعزيز العرفان. ذلك ما حاولنا بسطه انطلاقا من تجربة موسى العلمية مع الخضر، والله أعلم بمراده .

الهوامش

1 –اُنظر: البُنَى التَّقابُلِيَّة: خَرائِطُ جَديدَةٌ لتَحْليل الخِطاب، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2015، حيث بينا ذلك بأمثلة متعددة.

2– راجع للتوسع: عطية سليمان أحمد، اللسانيات العصبية، اللغة في الدماغ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، 2019.

3– سبق أن ذكرنا هذه المسارات،اُنظر الفصل الثالث من:نَظَرِيَّةُ التَّأْويلِ التَّقابُلي:مُقَدِّماتٌ لِمَعْرِفَةٍ بَديلَةٍ بالنَّصِّ والخِطاب، منشورات ضفاف/بيروت، ومنشورات الاختلاف/الجزائر،ودار الأمان/الرباط،2013، ص 85.

4– انظر:ابن هشام، السيرة النبوية، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط3، 2010. وكذا: المباركفوري صفي الرحمان، الرحيق المختوم: بحث في السيرة النبوية، دار السلام، الرياض.والصوياني محمد حمد عبد الله، في ظلال السيرة النبوية، العبيكان، الرياض، ط1، 2016.

5– فخر الدين الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تحقيق: عماد زكي البارودي،المكتبة التوفيقية، القاهرة، 2003، مج 11، ص75. وكذا ابن هشام، السيرة النبوية،م.س، ص191.

6–آية 59.

7–الكهف، 54 .

8– ابن ماجه (4019)، الحاكم في المستدرك (583/4)، والطبراني في الأوسط (61/5–62) عن عبد الله بن عمر .

9– انظر صحيح البخاري، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 2003، ج1، باب العلم، رقم 78، ص30–31.

10– ميلاده –من أجل التقريب الزمني– وحسب تفسير التحرير والتنوير حوالي 1463 قبل المسيح ووفاته حوالي 1363 ق.م.

11– انظر التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، مج 6، ج 15، ص362.

12– يمكن أن يتبع المؤوِّل مسارا تحليليا سميائيا، لأن ذلك سيوقفه على خطاطات سردية وبرنامج عاملي وعلاقات، لكن لا ينبغي التوقف عند المسار التحليلي وفق النموذج العاملي، بل ينبغي وَفق منظورنا بلوغ المعاني الوجودية، والتفاعل الإيماني العملي معها.

13– التحرير والتنوير، م. س، ص367.

14– الحجر، 42.

15– رسالة ما لا يعول عليه.

16– نص الحديث الكامل ورد في باب العلم كذلك من صحيح البخاري، رقم 122، م. س، ص40 –41. وهو: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ حَدَّثَنَا عَمْرٌو قَالَ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ قَالَ قُلْتُ لابْنِ عَبَّاسٍ إِنَّ نَوْفاً الْبِكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى لَيْسَ بِمُوسَى بَنِى إِسْرَائِيلَ، إِنَّمَا هُوَ مُوسَى آخَرُ. فَقَالَ كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ، حَدَّثَنَا أُبَىُّ بْنُ كَعْبٍ عَنِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: «قَامَ مُوسَى النَّبِيُّ خَطِيباً فِي بَنِى إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ فَقَالَ أَنَا أَعْلَمُ. فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّ عَبْداً مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ. قَالَ يَا رَبِّ وَكَيْفَ بِهِ فَقِيلَ لَهُ احْمِلْ حُوتاً فِي مِكْتَلٍ فَإِذَا فَقَدْتَهُ فَهُوَ ثَمَّ، فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ بِفَتَاهُ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ، وَحَمَلاَ حُوتاً فِي مِكْتَلٍ، حَتَّى كَانَا عِنْدَ الصَّخْرَةِ وَضَعَا رُؤُوسَهما وَنَامَا فَانْسَلَّ الْحُوتُ مِنَ الْمِكْتَلِ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً، وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَباً، فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمِهِمَا فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ

مُوسَى لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا، لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَباً، ولَمْ يَجِدْ مُوسَى مَسًّا مِنَ النَّصَبِ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِى أُمِرَ بِه. فَقَال لَهُ فَتَاهُ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ، قَالَ مُوسَى ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِى، فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً، فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ إِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى بِثَوْبٍ – أَوْ قَالَ تَسَجَّى بِثَوْبِهِ فَسَلَّمَ مُوسَى. فَقَالَ الْخَضِرُ وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلاَمُ فَقَالَ أَنَا مُوسَى. فَقَالَ مُوسَى بَنِى إِسْرَائِيلَ قَالَ نَعَمْ. قَالَ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا، يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لاَ تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ لاَ أَعْلَمُهُ. قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا، وَلاَ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا، فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ لَيْسَ لَهُمَا سَفِينَةٌ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ، فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا، فَعُرِفَ الْخَضِرُ، فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَنَقَرَ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ فِي الْبَحْرِ. فَقَالَ الْخَضِرُ يَا مُوسَى، مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلاَّ كَنَقْرَةِ هَذَا الْعُصْفُورِ فِي الْبَحْرِ. فَعَمَدَ الْخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ. فَقَالَ مُوسَى قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ. فَكَانَتِ الأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَاناً. فَانْطَلَقَا فَإِذَا غُلاَمٌ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ مِنْ أَعْلاَهُ فَاقْتَلَعَ رَأْسَهُ بِيَدِهِ. فَقَالَ مُوسَى أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا – قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ وَهَذَا أَوْكَدُ – فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا، فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا، فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ. قَالَ الْخَضِرُ بِيَدِهِ فَأَقَامَهُ. فَقَالَ لَهُ مُوسَى لَوْ شِئْتَ لاَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا. قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ». قَالَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – "يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا".

17–رواه البخاري، رقم3221.

18– الحديث السابق من البخاري.

19–الكهف، 109.

20– الزمخشري، الكشاف، ضبط وترتيب: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية ، بيروت، ج 2، ص707.

21– التحرير والتنوير،م.س، ج 16، ص5

22– ضافه إذا كان له ضيفا، وحقيقته مال إليه من ضاف السهم عن الغرض. الرازي، م.س،ج11، ص143.

23– الزمخشري، م.س، ج2، ص711.

24– انظر: صحيح البخاري،مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 2003، ج1، باب العلم البخاري.رقم 122. ص40.

25– الرازي، م.س، ص148

26–البقرة، 216.

27– النووي أبو زكريا، شرح صحيح مسلم، تح: هاني الحاج وعماد زكي البارودي، دار التوقيفية للتراث،القاهرة،2010، رقم 2999، في باب الزهد.

28– مختصر شروح الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندراني، صلاح عبد التواب سعداوي، دار الفضيلة، القاهرة، 2014.

CONFLICT OF INTERESTS
There are no conflicts of interest

المصادر والمراجع المعتمدة

القرآن الكريم.
بازي محمد:
–التأويلية العربية: نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، الدار العربية للعلوم/بيروت، ومنشورات الاختلاف/ الجزائر، 2010.
–تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو تأويل تقابلي، الدار العربية للعلوم/بيروت، ومنشورات الاختلاف/ الجزائر، 2010.
–نَظَرِيَّةُ التَّأْوِيلِ التَّقَابُلِي مُقَدِّماتٌ لِمَعْرِفَةٍ بَدِيلَةٍ بالنَّصِّ والخِطاب، منشورات ضفاف/ بيروت، ومنشورات الاختلاف/ الجزائر، ودار الأمان/ الرباط،2013.
–البُنَى التَّقابُلِيَّة:خَرائِطُ جَدِيدَةٌ لتَحْلِيل الخِطاب، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن، 2015.
–صِناعَةُ الخِطاب: البُنى العَمِيقَة للتَّأْوِيلِيَّة القُرآنِيَّة، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،2015.
–البُنى الاستعارية نحو بلاغة موسعة، منشورات ضفاف/ بيروت، ومنشورات الاختلاف/ الجزائر، ودار الأمان/ الرباط،2017.
–البخاري، صحيح البخاري، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 2003.
– سعداوي صلاح عبد التواب، مختصر شروح الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندراني، دار الفضيلة، القاهرة، 2014.
– الصوياني محمد حمد عبد الله، في ظلال السيرة النبوية، العبيكان، الرياض، ط1، 2016.
–الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون، (د.ط)، (د.ت).
– الرازي فخر الدين، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تحقيق: عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، 2003.
– الزمخشري، الكشاف، ضبط وترتيب: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت.
– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط2، 2010.
– عطية سليمان أحمد، اللسانيات العصبية، اللغة في الدماغ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، 2019.
– عرنيبة ميلود، التقابلية منهجا لانسجام التأويل، تقديم محمد بازي، مطبعة قرطبة، أكادير، 2019.
–المباركفوري صفي الرحمان، الرحيق المختوم: بحث في السيرة النبوية، دار السلام، الرياض.
–النووي أبو زكريا، شرح صحيح مسلم، تح: هاني الحاج وعماد زكي البارودي، دار التوقيفية للتراث، القاهرة،2010.
–ابن هشام، السيرة النبوية، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط3، 2010.